

روائع المسرح العالمي

وزارة الثقافة
والإرشاد القومي
الإقليم الجنوبي
الإدارة العامة
للثقافة



تأليف
أنطون تشيكوف
ترجمة وتقديم
الدكتور علي الراعي
مراجعة
الدكتور لويس مرس

الشيقات الثلاث

روائع المسرح العالمى

السقيفا الثلاثة

THE THREE SISTERS

مائة من أربعة فصول

تأليف
أنطون تشخوف

Anton Tchekov

ترجمة وتقديم الدكتور على الراعى

مراجعة الدكتور لويس مرسى

وزارة الثقافة والإرشاد القومى

الإقليم الجنوبى

الإدارة العامة للثقافة

ترجمت هذه المسرحية عن النص
الانكليزي بقلم جوليوس وست ،
طبعة داكورت ، انكلترا ١٩٤٩

تقديم روائع المسرح

بقلم
ثروت عكاشة

وزير الثقافة والإرشاد القومي

يمرُّ المسرح اليوم في مصر وفي غيرها من بلاد العالم بأزمة اختلفت الآراء في تبين أسبابها ، ولعل منافسة السينما والتلفزيون للمسرح من أهم أسباب هذه الأزمة .

على أن الآراء وإن اختلفت في ذلك ، إلا أنها تجمع على أثره الخطير في الرقي بالفن والتربية الوجدانية للشعب . وقد آمنت وزارة الثقافة والإرشاد القومي برسالة المسرح الجليلية ، فسعت إلى تشجيعه بمختلف الوسائل ، من تحويل دور السينما إلى مسارح ، وإحياء العتمة لإنشاء مسارح جديدة ، وتشجيع الفرق القائمة ، وهي قد استصغررت أخيراً قراراً جمهورياً بإنشاء مؤسسة فنون المسرح والموسيقى للتوسع في هذا التشجيع ، ورعاية المسرح من جميع نواحيه .

ولا شك أن من خير وسائل هذا التشجيع ، أن تقدم الوزارة للمشتغلين في هذا الميدان ، نماذج من روائع المسرح العالمي ، ولا تقتصر فائدة ذلك على المسرح ، بل تعداه

إلى تزويد اللغة العربية بمادة جديدة لا تخلو منها لغة حية ،
فضلا عما في ترجمة هذه الروائع من تقديم صور من
الثقافة العالمية الرفيعة لجمهور المثقفين في مصر والعالم العربي .
وقد حرصت الوزارة على أن تصدر كل مسرحية من
هذه المسرحيات بمقدمة ، يتناول فيها كاتب متخصص ،
مؤلف المسرحية ، ومذهبه في المسرح . وقيمة المسرحية
في ذاتها .

وإني إذ أقدم للقراء باكورة هذه المسرحيات ؛ أرجو
أن تكون بداية طريق التطور الذي نرجوه .
والله ولي التوفيق .

نروت عكاشة

مشرح تشيخوف

بقلم
الدكتور عاصم الراعي

من السهل علينا أن نسيء فهم مسرح تشيخوف ، فإن هذا المسرح قليل الحركة ، دقيق النسيج ، حتى لتخطئ العين المتعجلة رؤية ما يجري بداخله من أحداث ، وتعرض عنه في شيء غير قليل من السخط — مثلاً فعل « تولستوى » في روسيا ، و « ولیم آرتشر » في إنجلترا — أو تتأمله في حيرة وتشكك ، كالذي لا يزال يفعله حتى الآن بعض قراء « تشيخوف » .

قال العملاق « تولستوى » لصديقه الناشر والكاتب « سوفورين » ، معلقاً على نشر مسرحية « طير البحر » : « إنها كلام فارغ : الكلمات فيها أكوام فوق أكوام ، بلا معنى ، ولا غاية » .

وهكذا وضع الفنان الكبير أصبعه على سر من أسرار « التكنيك » في مسرح « تشيخوف » ، وعجز ، في الوقت نفسه ، عن أن يجد لهذا السر معنى أو وظيفة !

ولم يكن تولستوى بدعاً بين الناس في سوء تقديره للمسرحية . فقد انهال النقاد عليها تقطيعاً وتجريحاً ، وأيدهم في هذا جمهور النظارة ، وبلغ من سوء استقبال هؤلاء لها ، أن اضطرت « تشيخوف » إلى الهرب وراء الكواليس بعد الفصل الثاني ، ثم

عاد إلى موسكو في اليوم التالي ، مغضباً كسير القلب^(١) ،
بعد أن أجمع الكل على أن المسرح الذي أحس به - يولد في
أعماقه - هو مسرح غريب غير مفهوم . وأضاف البعض :
أنه ليس مسرحاً على الإطلاق .

ومما يزيد المسألة تعقيداً أن «تشيخوف» نفسه يبدى في بعض
المناسبات تشككاً واضحاً في بعض مسرحياته - حتى الأربع
الكبار منها . فهو يصف « الشقيقات الثلاث » مثلاً ، بأنها :
« ليست مسرحية ، وإنما شلة من الحيوط » ، ويضيف قائلاً :
« إن بها عدة أدوار ، وقد يعوق هذا التعدد حركتى ، فأجدنى
مضطراً إلى الانصراف عنها في النهاية » . قال «تشيخوف» هذا
وهو لا يزال يكتب المسرحية ، فلما انتهى منها وأرسلها إلى موسكو
لتمثل عاد يقول : « إنها من التعقيد بحيث تشبه الرواية .
والناس يقولون إن جوها انتحارى قتال » .

وقال «تشيخوف» كلاماً مشابهاً في التعليق على آخر روائعه
« بستان الكرز » . قال : « أسوأ ما فيها أننى كتبها خلال فترة
طويلة - فترة طويلة جداً ، وليس دفعة واحدة . ولا مفرّاً
لهذا من أن يبدو فيها أحياناً شئ من التطويل » .

فالكل ، إذن ، نقاداً ، ونظارة ، يحسون ، إزاء مسرح

(١) حدث هذا عندما عرضت المسرحية لأول مرة في المسرح
الإمبراطورى بمدينة پيتربورج عام ١٨٩٦ .

«تشيخوف» أنهم أمام شيء جديد لم يألفوه . وكان الكاتب نفسه لا يدرك تماماً مبلغ الأصالة والطرافة اللتين يقدمهما في مسرحياته .

فشلة الخيوط التي يخشى أن يتوه فيها قلمه ، والأكوام فوق الأكوام من الألفاظ ، التي لاحظ تولستوى وجودهما ، و«التطويل» الذي يشكو منه «تشيخوف» هي بالضبط العناصر الفنية التي ابتكرها الكاتب لكي يعبر تعبيراً مجسداً عن شيء ثمين بالنسبة لمسرحه ، وبالنسبة للدراما المعاصرة بوجه عام ، ألا وهو «تحركات الروح» تلك التحركات التي قال «تشيخوف» في معرض الحديث عنها : «إن الهدف الأكبر للإنسان ودرامته الكبرى تكمن في تحركات روحه ، وليس في حركاته الخارجية» .

وفي سبيل أن يعبر «تشيخوف» عن تحركات الروح ، ابتكر المسرح الذي يعطى الأهمية الكبرى للحركة الروحية للشخصيات ، ولا يلتفت إلى حركاتها الخارجية إلا بالقدر الذي يكفي للدلالة على طبيعة الحركة الروحية . وهو يصف هذا المسرح على لسان كونستانتين : الكاتب الشاب الذي يبحث في مسرحية «طير البحر» ، عن شكل ومضمون جديدين للدراما بقوله : «على الإنسان أن يكتب دون أن يفكر في شكل كتابته على الإطلاق ، بل يدع هذا الشكل يسيل تلقائياً من نبع روحه» .

فمسرح «تشيخوف» إذن يعنى بالتعبير عن الروح من خلال

حركات ظاهرية لأبطاله . ومعنى هذا من وجهة نظر «التكنيك» أنه مسرح يزاوج بين الواقعية والرمزية . وهذا هو سر الجمال والشاعرية اللتين تمتاز بهما مسرحيات «تشيخوف» ، كما أنه في الوقت نفسه أحد مصادر الإعراض وسوء الفهم — أو العجز عن الفهم في أحيان كثيرة — اللذين تلقاهما هذه المسرحيات .

ويزيد من هذا العجز عن الفهم أن «تشيخوف» يستخدم الرمزية في مسرحياته استخداماً موضعياً ، وليس استخداماً عاماً . فهو لا يجعل كل شخصياته ترمز إلى حقائق روحية معينة تخفيها هذه الشخصيات في أعماقها ، بل هو يختار بعضاً من الشخصيات ، وينشئ بينها وبين أحد الرموز علاقة تماثل . بحيث يصبح الرمز بديلاً من الشخصية ، وتصبح هذه تعبيراً آخر عن الرمز . يحدث هذا في مسرحية «طير البحر» ، حيث الممثلة الشابة «نينا» هي طير البحر ، وحيث هذا الطير يرمز للحرية المقتولة ، في الفن وفي المجتمع .

هنا نجد انطباقاً تاماً بين ما يحدث لطير البحر ، الذي يقتله الكاتب الشاب «ترييليف» لمجرد قطع الوقت ، وبين ما يحدث للممثلة الشابة «نينا» التي يعتدى عليها الكاتب الناجح «تريجورين» لمجرد التسلية وطلب اللذة العابرة .

ولكن تشيخوف لا يكتفى بعلاقات التماثل بين أرواح شخصياته وبين حركاتها المادية ، بل هو في كثير من

الأحيان ينشئ علاقات مفارقة مريرة بين اهتمامات أبطاله الروحية وبين ما تدفعهم البيئة الخارجية إلى إتيانه من سخيف الأفعال أو قبيحها ، ثم يتخذ من هذه المفارقات وسيلة للتعليق على هذه البيئة المحيطة ونقدها ، وإظهار معاييبها .

وكثيراً ما تجمع المسرحية الواحدة بين الحيلتين الفئيتين ، كالذى نجده فى «الشقيقات الثلاث» ، حيث مدينة موسكو ترمز إلى كل ما هو حر ، وواسع ، وعريض فى الحياة والعادات والأفكار . لهذا تتطلع «الشقيقات الثلاث» وأخوهن «أندريه» إلى الانتقال إلى موسكو ، هرباً من الحياة الضيقة الغبية التى يحياها الجميع فى بلدة صغيرة من بلاد الريف الروسى . فبين الشقيقات الثلاث و «أندريه» من جهة ، وبين مدينة موسكو بوصفها الرمزى هذا من جهة أخرى علامة تماثل يستخدمها المؤلف كى يطلعنا على شىء مما يدور فى أرواح أبطاله .

على أن «تشيوخوف» ينشئ — فى الوقت نفسه — علاقة مفارقة بين هؤلاء الأبطال وبين البيئة التى تحوطهم ، يكون من نتائجها أن يبدو هؤلاء الأبطال من الخارج سخفاء تافهين وحمقى ، فى الوقت الذى تشتعل فيه أرواحهم بنبيل الأفكار والرغبات . والنتيجة الفنية لهذه المفارقة هى أن هؤلاء الأبطال يمثلون أمامنا مأساة العصر الحديث كما يراها «تشيوخوف» — مأساة ضياع الهمم والأفكار وسط سلسلة كالحة مريرة من تهاكات

الحياة اليومية، وبخافات العيش الروتيني . ذلك أن المأساة في نظر تشيخوف لم تعد مأساة النبلاء من الناس يدخلون مع القدر في عراك مجيد ، ثم يهزمون في هذا العراك هزيمة هي أقرب الأشياء إلى النصر . إن مأساة العصر الحديث في نظره هي مأساة البلادة والضياع والهمة التي لا تشتعل إلا ريثما تنجو مأساة الذين لا يهبطون لمقاتلة القدر ، بل يتلقون صفعاته صاغرين ، ولا يملكون إلا أن يأملوا في مستقبل لا يوجد فيه قدرٌ ، أو لا توجد فيه صفعات .

* * *

قلت إن مسرح «تشيخوف» يجمع بين الواقعية والرمزية ، وأضفت أن هذا هو أحد أوجه الجمال والشاعرية في هذا المسرح ؛ غير أن هذا رأى لا يسلم به بعض النقاد بسهولة . فمن هؤلاء من يرى أن لجوء «تشيخوف» إلى هذا المزج بين اللونين الفنيين ، إنما هو اعتراف ضمنى منه بعقم المدرسة الواقعية ، وعدم قدرتها على التعبير العميق عن التجربة الإنسانية . ويفصل «ريموند ويليمز»^(١) هذا الرأى تفصيلاً دقيقاً في فصل له كتبه عن فن تشيخوف المسرحي ، وعرض فيه بالتحليل لروائع تشيخوف الأربع ، محاولاً أن يثبت أن الرمز عند الكاتب الروسي الكبير إنما هو محاولة لتغطية النقص

(١) « الدراما من إبسن إلى اليوت » تأليف : « ريموند ويليمز » .

فى التعبير . فبدلاً من أن يعطينا الكاتب لب التجربة . عن طريق الحوار المسرحى والعاطفة العميقة التى تُتوحد بين أجزاء التجربة ، نجده يصرف طاقته الفنية فى رسم الشخصيات وكتابة الحوار المناسب لميزاتها . فيقف بنا - بهذا - عند الحدود الخارجية للشخصيات ، ويحرم عمله الفنى من أن يتخطى نطاق المحلية إلى نطاق العالمية .

ولا يلبث الكاتب الموهوب أن يتبين هذا النقص الخطير فى عمله الفنى . فيلجأ إلى وسيلتين لتعويض هذا النقص .

أولاهما : استخدام الرمز ، لمحاولة الربط بين أجزاء التجربة عن طريق شيء خارجى عنها يفرض على هذه التجربة فرضاً . مثلاً يفعل تشيخوف فى « طير البجر » ، حيث يربط بطريقة مدروسة مهندسة ، بين الممثلة الشابة والكاتب الشاب والمجتمع . وبهذا يحاول المؤلف أن يضيف على عمله صفة الوحدة العضوية .

أما الوسيلة الثانية : فهى دفع بعض شخصياته إلى الكلام ، والخطابة وشرح التجربة العامة التى تختفى وراء حياتها الخاصة .. وذلك محاولة من الكاتب لرفع شخصياته من المستوى الخاص إلى المستوى العام .

وفى رأى «ريليموند ويليمز» أن كلتا الوسيلتين لا تنجحان فى سد النقص الذى تجلبه المسرحية الواقعية على نفسها حين تصر

على أن تحاكي الطبيعة . بدلا من أن تحاول تعميق التجربة .
وتجويد أساليب ترجمتها إلى أشكال فنية .

هذا هو . مجمل الاتهام الذى يوجهه واحد من أعداء
المسرحية الواقعية إلى هذا اللون من الكتابة المسرحية ، وهو
اتهم إن صح توجيهه إلى بعض المسرحيات الواقعية ، مثل
« الأشباح لإبسن » ، و « بيت القلوب المحطمة لشو » ، فهو
ليس صحيحاً على إطلاقه وفى كل الحالات ، بدليل نجاح
مسرحيات : « البطة البرية » لإبسن ، و « الشقيقات الثلاث »
و « بستان الكرز » لتشيخوف فى المزج الفنى المتكامل بين
الواقعية والأسلوب الرمزي ، وتوفيقها فى إعطاء المسرحية الواقعية
— عن طريق هذا المزج — أبعاداً جديدة ترتفع بالتجربة
من مستوى الخصوصية إلى مستوى العمومية .

والواقع أن كل ما يوجهه « ريموند ويليمز » من اتهامات للمدرسة
الواقعية ممثلة فى فن « تشيخوف » بالذات ، يبدى بوضوح أن هذا
الكاتب متحيز لمدرسة بعينها من مدارس الكتابة المسرحية :
هى المدرسة الرمزية ، كما تمثلها مسرحيات اليوت ، وأن هذا
التحيز قد جعله غير قادر على تقييم غيرها من مدارس تقنياً
موضوعياً محايداً .

إنه مثلاً يعيب على أبطال « تشيخوف » أنهم يخطبون
أحياناً ، بدلا من أن يتحدثوا ، وهذه نظرة سطحية لوظيفة

الخطابة في مسرح الكاتب الروسي . إن هذه الخطابة جزء لا يتجزأ من تكوين الشخصية . إنها ليست مجرد خطابة ، بل هي إحدى الوسائل التي يستخدمها المؤلف لكشف الشخصية والتعليق عليها . فتشيعوف يريد أن يبين لنا كيف ينزع بعض أبطاله إلى التحمس ، وكيف يتعلقون بنيل الأفعال والأقوال ، حتى لتشتعل عباراتهم وتلهب ، ثم تنطفئ فجأة ، بعد أن يتبين هؤلاء الأبطال بأنفسهم أنهم مضحكون ، وأن عباراتهم البليغة تتفاوت تفاوتاً كبيراً مع قدراتهم الحقيقية والبيئة التافهة التي يعيشون فيها . إن هذه القدرات وتلك البيئة ، تؤكد أن هؤلاء الأبطال عاجزون ، محكوم عليهم بالفشل . ولهذا ، كثيراً ما يلجأ تشيعوف إلى قطع خطبة أحد الأبطال بعبرة سقيمة ، أو إنهاؤها فجأة ، للدلالة على أن عبارات أبطاله لا يقصد بها أن تلقى عظات على المتفرجين ، أو أن تشرح فلسفة لم يستطع الكاتب أن يترجمها درامياً إلى شخصية أو حركة . إن هذه الخطب هي جزء لا يتجزأ من الشخصية عند تشيعوف ، وإن كان من غير المنكور أن الكاتب يستعملها أيضاً وسيلة لإطلاعنا على التركيب الفكري للشخصية ، فيؤدي هذا بدوره إلى « شرح » فلسفة الرواية .

وأي عيب في هذا ؟ أليس من واجب المسرحي أن يترجم مادته الخام إلى دراما ؟ فإذا ما نجح في هذه الترجمة ، وأنتج لنا شخصيات مقنعة ينزع بها تكوينها الفكري والنفسى إلى

الخطابة ، أفنعيب هذا على الكاتب ؟ أليست الشخصية الخطابية جزءاً من تجربتنا الإنسانية ؟ وأى ضير فى أن يستخدم الكاتب الشخصية الخطابية وسيلة لبث بعض الآراء ، ما دام هذا البث يتم بطريقة فنية ، ويؤدى وظيفة فنية واضحة ؛ هى دفع الحركة الفكرية والروحية للمسرحية إلى الأمام ؟

ويدعى «ريموند ويليمز» أيضاً أن المزج بين الواقع والرمز ، إنما هو حيلة يقصد بها إخفاء نقص هام فى المسرحية الواقعية . وهو أن هذه المسرحية تقدم تجارب خاصة ، لا يمكن أن ترتفع إلى مستوى التجربة الإنسانية العامة ، فهل هذا صحيح ؟ أليست التجربة التى تحكمها مسرحية « بستان الكرز » تجربة عالمية ؟ إن «تشيفوف» فى هذه المسرحية يعرض علينا ترجمة فنية وعاطفية لظاهرة اجتماعية معينة ، هى ظاهرة تحطم الإقطاع بكل ما يمثله من علاقات بشرية ، ونشوء نظام اقتصادى جديد فى روسيا هو النظام الرأسمالى ، الذى يحمل هو الآخر فى طياته بذور نظام آخر سوف يليه .

وفى عرض «تشيفوف» لهذه الظاهرة نجد استقطاراً لتجربة إنسانية عامة ، هى الأسى لكل ماض يذهب ؛ إن عواطف الكاتب تتجه إلى المستقبل والماضى معاً . إنه يأسى لتحطم النظام الإقطاعى ، وإن كان لا يؤيده ، ولا يحب له أن يستمر ؛ ذلك أن هذا النظام له بعض نواحي الخير والجمال .

وهو نظام التصق بفترة بعينها من التاريخ الإنسانى ، فالتخذ
بهذا لنفسه مكاناً فى تراثنا وعواطفنا . لذلك يوضح تشيخوف
فى مسرحيته جوانب الخير فى هذا النظام ولا يغفل عنها ،
وإن كان فى الوقت نفسه يوجه نقداً مرّاً لباقي الجوانب .

هذا الأسى على الماضى ، وتلك الإنسانية الواسعة التى تعشق
الجمال الداهب ، وترثى له ، ثم لا تغفل عما فى الحاضر من خير ،
وما فى المستقبل من بشرى ، أليست تجربة إنسانية عامة ؟ أم
تراها إحدى خصائص المجتمع الروسى على عهد «تشيخوف» ؟
والرغبة الحادة الملحة التى كانت تحسبها «الشقيقات الثلاث»
فى ترك حياتهن العاجزة المغلقة فى الريف ، والانطلاق إلى
رحابة العاصمة ، وعلاقاتها المتعددة الغنية ، والاستمتاع هناك
بالحبيب والزوج وكل مباهج الحياة الاجتماعية . ترى هل
هذه أيضاً تجربة خاصة لا تحسبها إلا الشقيقات فقط ؟ أم
أنها تجربة إنسانية عامة ، تحمل كل المرارة والأسى والتشوق
الذى نجدها جميعاً مختلطة فى قلوبنا ، ونحن مقيدون بوضع
معين لا نرضاه ، ونرى الخير كل الخير فى أن نغيره ونقطع
صلتنا به بأسرع ما نستطيع ؟

* * *

الواقع أن البساطة الظاهرية لمسرح «تشيخوف» تجنى على
هذا المسرح عند الكثيرين : إنها بساطة زئبقية خداعة .

وفيها يقول «تشيوخوف» نفسه ، في خطاب أرسله إلى صديقه
الحميم سفورين : « فلنكن في مثل بنسطة الحياة ، وفي مثل
تعقيدها . إن الناس يجلسون لتناول الطعام ، وفي الوقت نفسه
تكون مصائرهم بسبيل التقرير : فلما سعادة وإما شقاء » .

وهذا في الواقع هو ما يحدث في مسرحيات «تشيوخوف»
الناضجة ، ف وراء المظهر الخارجي لأناس يروحون
ويجيئون ، ويأكلون ، ويسمرون ، ويتحدثون في التافه من
المواضيع ، تتجمع خيوط المأساة الإنسانية الحديثة .. مأساة
الأفراد العاجزين المقيدون إلى أوضاع يجهدون في سبيل تغييرها
دون جدوى ؛ مأساة « واحدات الذباب » سقطت في نسيج
العنكبوت ، وأخذت تدفع بأرجلها في خيوطه الواهنة ، محاولة
الخلاص ، فإذا بها لا تزداد إلا اشتباكاً بهذه الخيوط !

إن بيت العنكبوت هو عند «تشيوخوف» القدر الحديث ،
وهو في « الشقيقات الثلاث » بيت آل بروسوروف ، حيث نلتقى
به « الشقيقات الثلاث » وأخيه « أندريه » بعد عام واحد من
وفاة أبيهن .

كانت الحياة في موسكو على عهد الوالد المتوفى بهيجة
دافئة ، واليوم لا تجد الشقيقة الكبرى « أولجا » في حياتها
إلا الصداق والمرارة ، والتفور من العمل ، بعد أن تركت
الأسرة موسكو وعاشت في إحدى مدن الريف :

« أحس دائماً بصداع لا ضرارى للذهاب للمدرسة كل يوم ، والتدريس بها حتى المساء ؛ أفكار غريبة تراودنى ، وأحس كما لو أنى أصبحت عجوزاً بالفعل . وفى خلال السنوات الأربع التى عشتها هنا ... أحسست يوماً بعد يوم أن عافيتى وشبابى ينزفان منى نقطة إثر نقطة » . لهذا تقوى عند أولجا رغبة واحدة وتشتد ، تلك هى أن ترحل إلى موسكو ، تبيع البيت ، وتتخلى عن كل شيء هنا وترحل إلى موسكو بأسرع ما تستطيع .

وتُعبّر الشقيقة الوسطى عن هذه المرارة نفسها والضيق بالانحصار ، والأسى على الشباب الذاهب ، فى حديث لها مع الطبيب العجوز تشيبوتيكين :

« عندما صحت اليوم ، وتركت فراشى ، أحسست فجأة أن سر الأشياء جميعاً قد وقع فى يدي ، وأنى أعرف كيف ينبغى أن تكون حياتى ؛ على المرء أن يعمل : أن يجهد حتى يسيل منه عرق الجبين ، مهما كان مقداره ، لأن هذا هو معنى حياته وهدفها وسعادتها وحماستها ... خير للمرء أن يكون ثوراً أو مجرد حصان — لا يهم أيهما طالما كان قادراً على العمل — من أن يكون امرأة شابة تصحو فى الثانية عشرة وتشرب قهوتها فى الفراش ، وتنفق ساعتين فى ارتداء ثيابها .

والأختان أولجا وإيرينا يربطهما خيط واحد من خيوط

المأساة : أولجا تشعر تماماً أنها موشكة أن تصبح عانساً ، لأن
أحداً لم يتقدم لخطبتها حتى الآن ، ولأن فرص الزواج أمامها
في بلدة ريفية صغيرة فرص نادرة إن لم تكن مفقودة أصلاً .
أما إيرينا ، فبالرغم من أنها لم تتعد سنوات شبابه الباكر بعد ،
فهى تشعر بمرارة وألم كبيرين لأنها لم تحب .. لم تعرف طعم
العاطفة العاتية التى تروى شباب المرء ، وتثير أعظم ما فيه ،
وتهيه حياة خصبة مقبلة . أما العمل الذى أمّلت أن تجد
فيه عوضاً عن الحياة الخسبة ، فقد أثبتت سنوات ثلاث
قضتها وهى تعمل ؛ أنه سراب ، ووهم ضائع مع الأيام :
« إني تعسة .. لأستطيع العمل ، ولن أعمل . كفى ،
كفى ! كنت عاملة تلغراف ، والآن أعمل فى مكاتب المجلس ،
وليس فى قلبي سوى المقت والاحتقار لما يعطونى من عمل
هناك . وأنا الآن فى الثالثة والعشرين ، وقد مرّ بى وقت طويل
وأنا أعمل ، وما هو ذا عظمى قد جف ونحل جسمى ، وأصبحت
أقلّ جمالاً وأكبر سنّاً ، وليس لأزمتى من انفراج ، والوقت يمر
فكأننى أنحسر من الحياة الجميلة الواقعة ، وأتراجع رويداً
رويداً منحدره عبر هوة بحقيقة » :

وتعلم إيرينا أنها أمام احتمالين لا مفر من قبول أيهما —
كلاهما مر . إما أن تصبح عانساً مثل أختها أولجا . وإما أن
تزوج البارون الشاب القبيح الحلقة تيوز ينباخ ، الذى

لا تحبه ، ولا تتفعل نفسها أبداً للقياء . وهى تراود نفسها على قبوله ، وتحاول أوجها أن تقنعها بضرورة الموافقة على الزواج منه ، فتكشف الأخت الكبرى أثناء هذه المحاولة ، عن مدى هوة الشقاء التى وقعت فيها هى نفسها ، تقول أوجها لأختها :

« عزيزتى ، إني لأنصح لك كشقيقة وصديقة . تزوجى البارون .. أنت تحترمينه وتقديرينه كل التقدير .. صحيح ، إنه ليس وسياً ، ولكنه شريف ونظيف . الناس لا يتزوجون بدافع الحب ، ولكن أداء لواجبهم . هذا اعتقادى على كل حال ، وأنا على استعداد لأن أتزوج دون حب ، مهما يكن المتقدم لى فسأتزوجه . ما دام مهذباً ، حتى لو كان عجوزاً » .

هذه الصبيحة المعذبة التى تطلقها أوجها ، هى صبيحة احتجاج أخيرة تطلقها أنثى محرومة ، ضرب عليها القدر القاسى ستاراً صفيقاً من التعاسة ، وحكم عليها بأن تعيش براء ، لا زوج لها ولا ولد . وهى فى الوقت نفسه تحذير رهيب ، لإيرينا أن تمسك بتلابيب الفرصة الوحيدة المتاحة لها . وهو تحذير تسمعه إيرينا وتقبله لأنها لا تملك إلا أن تفعل ، وإلا فالويل لها كل الويل . إنها تقول فى لهجة ملسوعة ملتاعة فى ختام الفصل الثالث :

« يا أختى العزيزة الحبيبة . إني أقدر ، إني أعلى شأن البارون ، إنه رجل رائع . سأتزوجه ، سأرضى بزواجه حتى أذهب إلى موسكو ! »

ولو أن إيرينا رفضت عرض البارون . الزواج بها ،
لواجهت أعماق المأساة في بيت العنكبوت الذي تسكنه . ليس
في هذا البيت أخت حنون ، كبيرة القلب ، حكم عليها
بالحرمان الأسود وحسب ، بل هناك أيضاً شقيقة صغرى تعيش
هي الأخرى في مأساة تتقطع لها نياط القلب . لقد تزوجت
هذه الشقيقة الصغيرة ماشا ، وهي بعد في سن الشباب الغرير ،
مدرساً شاباً ظنت إذ ذاك ؛ أنه في حكمة الفلاسفة ، وعمق
المفكرين ، ثم ما لبثت أن تبينت أنها كانت واهمة . فزوجها
مدرس جاف العقل والروح ، ضيق النظرة ، كل همه أن
يرضى عنه رؤساؤه . إنه طيب القلب فعلاً ، ولكنه لا يرضى
خيال فتاة متطلعة مثل ماشا . فلا رقة فيه ولا فن ، لهذا تعيش
معه ماشا عيشة قد غاب عنها أهم أسسها ، وهو المشاركة
الخلقة ، بين قلبين وروحين .

وحيثما يهبط البلدة ضابط نبيل القلب ، معذب الروح ،
قد تزوج هو الآخر من امرأة ثرثرة تافهة ، تحيل حياته جحيماً
دائماً ، بما تحاوله من انتحار كل بضعة أيام ، يهفو قلب ماشا
إليه ، وتجذ في مأساته شبيهاً بمأساتها ، ويحبها هو الآخر ،
ولكنهما يعلمان أن لا مفر من الفراق .

وكأن القدر لا يكتفى بحرمان ماشا من شبابها وسعادتها ،
فهو يخایل ناظرها بوهم من سعادة متألفة ، ويعرض أمامها
قبساً بما كانت خليقة أن تصل إليه من هناء لو قدر لها أن

تنزوج من شخص تحبه فعلا ، كما أحبت الضابط : فيرشينين .
ثم سرعان ما يختفى السراب ، ويترك الضابط البلدة مع الفرقة التي
جاء معها ، ويترك وراءه حطاما مخرقا هو قلب ماشا وروحها .

فما الذي يدفع إيرينا إذن إلى البقاء ؟ أنتتظر لكى تشقى
من جديد بالحياة إلى جوار حطام ثالث ، هو فى هذه المرة
حطام أخيها ؟ أجل ، فقد تزوج أندريه ، الذى كان فى
شفافا متطلعا ، يأمل فى يوم من الأيام أن يصبح أستاذاً فى
جامعة موسكو ، وتعترف به روسيا كلها ، وتسعد شقيقاته
فى ظل صيته وعلو قدره ؛ تزوج من امرأة سوفيتية فتاة ،
خيل إليه أنه يحبها ، وأنها خليقة أن تغنى حياته وتدفعها إلى
الأمام ، فإذا بها امرأة معطلة ، تسخر من عمله ، وتحمله
مستوليات البيت ، وتخالل رجلا من الناحية ، يعمل
زوجها مرعوساً له . أما أندريه فقد مكث فى البلدة بدلا من
أن يذهب إلى موسكو ، ورضى بعمله التافه مرغماً ، وانصرف
إلى لعب القمار بأموال شقيقاته المسكينات ، وأصبح فى النهاية
خطاماً يجر مع عربة طفله التى كلفته زوجته بدفعها ، ركام
آماله ، وبقايا رؤى كانت تخايله .

ليس أمام إيرينا إلا أن تقبل الزواج من البارون الذى
تحترمه فقط ، ولا تحبه قط . ولكن هل يرضى القدر بعد
أن رضيت هى ؟ لا ، فالعنكبوت يصر على أن يأكل ضحاياه

جميعاً .. الواحدة وراء الأخرى . إن البارون يموت في مبارزة ،
فتكتمل بهذا فصول المأساة ، وتنتهى المسرحية والشقيقات
باقيات في أماكن الذليلة الأسيرة ، ليس أمامهن إلا أن
يواصلن العيش من يوم إلى يوم ، ويرقبن جذوة الحياة وهى
تنطفئ رويداً رويداً في قلوبهن وأرواحهن .

ولكن هل معنى هذا ، أن حياة الشقيقات قد ضاعت
هباء ؟ هل يعشن في ظلام دامس لا بصيص فيه من النور ؟
إن «تشخوف» ينهى مسرحيته بنغمات موسيقية روحية ومادية
تدعو إلى كثير من الأمل : الفرقة العسكرية التى ترحل عن البلدة
تعزف موسيقاها في مرح وبهجة ، وأرواح الشقيقات تعزف
هى الأخرى ألحاناً متفاوتة .. معذبة ، ولكنها مع ذلك عذبة
لأن فيها بقية من أمل ، وصباية من تطلع . تقول ماشا :

« سنظل وحيدات وعلينا أن نبدأ من جديد .. علينا

أن نعيش .. نعيش »

وتقول إيرينا :

« سيأتى يوم يعرف فيه الكل لماذا ، ولأى غرض ،

نتعرض لكل هذا العذاب ... أما الآن فعلىنا أن

نعيش . علينا أن نعمل ، نعمل فقط ! »

وتقول أولجا :

« الفرق الموسيقية تعزف بكل مرح ، بكل قوة ،

وكل منا شديدة الرغبة فى أن تعيش !

عذابنا هذا سينقلب سعادة لمن يأتون بعدنا :
ستسود السعادة والسلام الأرض ، وستذكر الأجيال
في حب وعطف أولئك الذين يحيون الآن ،
وتعطر ذكراهم » .

لقد انتصر القدر في معركة أخرى من سلسلة المعارك
التي يخوضها معه الإنسان من أجل سعادته . ولكنها مجرد معركة ،
ستلونها معارك أخرى ، لا بد للإنسان أن ينتصر فيها أو بعدها .
النصر النهائي للإنسان ، مهما تحملت الأجيال من آلام ،
وقاست من مصائب .

هذه النعمة النهائية التي يختتم بها «تشيخوف» مسرحيته لم
تأت عفواً ، إنما هي الحصيلة الحتمية لتفاعل روحى وفكرى
بين أبطال المسرحية ، وبخاصة بين الشقيقات ، وبين كل من
البارون تيوزينباخ والضابط فيرشينين ، وكلاهما يحمل في
رأسه وروحه أفكاراً وعواطف نبيلة عن المستقبل . وكلاهما ،
وبخاصة فيرشينين ، يعبر عن إرادته بالطريقة الخطائية الزاعقة
التي يعترض عليها «ريموند ويليمز» ، دون أن يقدر أن لها وظيفة
درامية محددة .

أما هذه الوظيفة فهي تطوير الشخصيات تطويراً يجعل
الحاتمة التي يريد المؤلف أن ينتهى إليها تبدو منطقية مقنعة :
ذلك أنه إذا كانت الشقيقات الثلاث ينجحن في آخر المسرحية
في الارتفاع عن مآسهن الخاصة ، ويجدن في المصير النهائي

الذى ينتظر الإنسان عزاء عن بلاياهن أى عزاء ، وإنما يتم هذا بفضل تفاعلهن مع آراء فيرشينين النبيلة ، التى يبثها إياهن فى إحدى « خطبه » ، إذ يقول :

« فى البلدة الآن ثلاث مثلكن ، ولكن الأجيال القادمة ستشهد مزيداً بعد مزيد ، وسيأتى وقت يتغير فيه كل شىء ، ويصبح الناس على خير ما تُردن ، يعيشون كما تعشن أنتن الآن ، ثم يتعدّأكن التطور ، ويولد الناس ليصبحوا خيراً مما أنتن الآن . »

كذلك تتفاعل آراء فيرشينين مع آراء الشقيقات ، حينما يحكى الضابط لماشا ، قصة الوزير الفرنسى الذى سجن بسبب فضيحة « قناة بناما » فالتفت لأول مرة فى حياته إلى جمال الطيور ؛ إذ رآها من نافذة زنزانته الضيقة ، ولم يكن وهو وزير يلحظ جمالها قط ، فلما خرج الوزير من سجنه عاد إلى سابق إهماله للطيور . يقول فيرشينين هذا الكلام لماشا رداً على تعلقها الشديد بالذهاب إلى موسكو مع شقيقاتها ، فيجعلها كلامه تبين أن المرء يستطيع أن يصنع جزءاً من سعادته بيده ، وأنه لو أراد فسيجد الجمال الذى يبحث عنه حتى فى آخر مكان يتوقع أن يجده فيه . وعلى كل حال فمن الخطأ أن يبنى المرء سعادته على فكرة واحدة ثابتة ، فقد يكون الوهم وحده هو الذى يهيئ له أن هذه السعادة تختفى خلف تلك الفكرة .

لو تأملنا المسرحية بعد هذا لوجدنا فيها كل ما لاحظته

نقاد «تشيخوف» من عناصر عابوها على مسرح الكاتب الروسي الكبير ، ولوجدنا كذلك أن المسرحية أمينة للمبدأ الذي اختطه «تشيخوف» نفسه لمسرحياته .

هنا «أكوام فوق أكوام من الكلمات» ، كما لاحظ تولستوى على «طير البحر» . وهنا خطب وآراء صريحة معلنة ، كما لاحظ ريموند ويليمز . وشلة الخيوط التي تهدد قلم الكاتب بالضلال موجودة كذلك . فالأدوار متعددة ، ولكل بطل من الأبطال قصة صغيرة تشكل خطراً على المسرحية . وحوادث المسرحية ، بعد هذا ، لا تعدو أن تكون حوادث تحدث لإناس عاديين ، إذ يجلسون إلى مائدة طعام . ولكن العبرة ليست بوجود هذه الأشياء جميعاً ، إنما هي بما يفعله الكاتب بهذه الأشياء : الألفاظ أكوام فوق أكوام ، ولكنها ليست ألفاظاً جوفاء ، والأكوام لا تتراكم ؛ بل تنمو نمواً عضوياً . والخيوط متعددة فعلاً ، وكثيرة ، ولكن قلم «تشيخوف» لا يتوه فيها ، بل هو ينسجها نسجاً دقيقاً محكماً ، نخرج منه بعمل فني جميل . أما الحوادث العادية الهادئة ، فإنها — كما رأينا — تطابق تماماً ما حدده لها «تشيخوف» من قيمة .

إن آل بروسوروف يجلسون فعلاً إلى مائدة : يأكلون ويشربون ، ويسمرون ، ولكن وراء هذا الهدوء الظاهري الذي نلمحه في حياتهم أحداثاً روحية وعاطفية كبيرة القيمة ، بعيدة الغور .

على الراعى

الفصل الأول

(في منزل بروسوروف . غرفة جلوس ذات أعمدة . في الخلف غرفة أكل كبيرة . الوقت : ظهراً . والشمس ساطعة بالخارج . المائدة تعد للغداء ..)

تري أولجا مرتدية الزي الموحد للمدرسات مدارس البنات الثانوية ، وهي تتمشى وتصحيح بعض الكراسيات ، وماشا ، في رداء أسود ، وقبعتها على ركبتيها تقرأ جالسة ، في كتاب . على حين تقف إيرينا في رداء أبيض .. وعلى وجهها أمارات التفكير ..)

أولجا : اليوم يا إيرينا ينقضي عام كامل على وفاة أينا في الخامس من مايو : عيد القديسة راعيتك . كان اليوم بارداً جداً .. والثلج يتساقط . ظننت أنني لن أعيش بعد ذلك اليوم ، وكنت أنت في غيبوبة كالموت . واليوم ؛ بعد عام واحد فقط ، نتأمل ما حدث بلا ألم ، وترتدين أنت ملابس بيضاء ، وتظهر على وجهك علامات السعادة . (تدق الساعة الثانية عشرة) دقت الساعة إذ ذاك كما تدق الآن . (صمت) وأذكر أن

الموسيقى عزفت في الجنازة ، وأطلقت البنادق
عند المقبرة . كان أبونا قائداً برتبة لواء . ومع
هذا فقد كان مشيعوه قليلين ، بالطبع منع
المطر الناس من المجئ . كان مطراً مدراراً ،
وكان الثلج يتساقط .

إيرينا : ولم هذا الحديث الآن ؟

(يظهر كل من البارون تيوزينباخ ، وتشيبوتيكين
وسوليني عند المائدة ، في غرفة الأكل خلف
الاعمدة)

أولجا : . الجو اليوم دافئ ، حتي لنستطيع أن نترك النوافذ
مفتوحة ، ولو أن أشجار البتولا لم تزهري بعد . عينا
أبي قائداً برتبة لواء ، فخرج بنا ذات يوم للنزهة
خارج موسكو منذ أحد عشر عاماً ، أذكر تماماً
أن اليوم كان في أوائل مايو ! وكان كل شيء
في موسكو مزهراً والجو دافئاً . كما هو اليوم ،
والأشياء تسبح في ضوء الشمس . انقضت
إحدى عشرة سنة على ذلك اليوم ، وما زلت
أذكره كما لو كنا خرجنا بالإملس . . يا إلهي !
عندما صحت هذا الصباح ورأيت حوالى كل
هذا الضياء وذلك الربيع ، أحسست بالفرحة تدخل
قلبي ، وشعرت بحنين جارف للعودة إلى بلدي ..

تشيبيوتيكين : تراهن ؟

تيوزينباخ : لا تكن سخيّاً .

(ماشا وقد غابت في ذكريات بعيدة ، تصفر
في هدوء)

أولجا : لا تصفري يا ماشا . كيف تجروئين ! (صمت)

دائماً أحس بصداع لا ضرارى للذهاب إلى
المدرسة كل يوم ، والتدريس بها حتى المساء .
أفكار غريبة تراودني . وأحس كما لو أتي قد
أصبحت عجوزاً بالفعل . وفي خلال السنوات
الأربع التي عشتها هنا ... أحسست يوماً بعد
يوم أن عافيتي وشبابي ينزفان مني نقطة إثر
نقطة . وفي كل يوم تقوى عندي رغبة واحدة
وتشتد ...

إيرينا : أن ترحلي إلى موسكو ، أن تبيعي البيت ، وتتخلي
عن كل شيء هنا ، وترحلي إلى موسكو !

أولجا : أجل إلى موسكو بأسرع ما أستطيع (يضحك
تشيبيوتيكين وتيوزينباخ) .

إيرينا : أظن أن أندريه سيصبح مدرساً . ولكنه مع هذا
لن يرغب في البقاء هنا . ماشا المسكينة هي التي
قدر عليها البقاء .

أولجا : تستطيع ماشا أن تذهب إلى موسكو كل عام .
وتبقى هناك الصيف كله .

(ماشا تصفر في رقة)

إيرينا : كل شيء سيكون على ما يرام ، إن شاء الله .
(تنظر من النافذة) اليوم جميل بالخارج .
لست أدري لماذا أنا سعيدة هكذا . تذكرت
في الصباح أن اليوم عيد القديسة راعيتي .
فأحسست فجأة بالسعادة ، وذكرت أيام طفولتي
حينما كانت أمنا لا تزال على قيد الحياة . يا لها
من ذكريات جميلة تلك التي ثارت في نفسي .
يا لها من ذكريات ..

أولجا : أنت اليوم كلتك لإشراق .. لم أرك من قبل على
كل هذا الحسن ، و ماشا مليحة هي الأخرى .
وأظن أن أندريه يكون جميلاً هو الآخر لو لم
يكن سميناً هكذا . إن السمنة تفسد مظهره ،
أما أنا فقد هرمت ، ونحلت كثيراً ، ربما
لكثرة ما أنهر البنات في المدرسة . على أنني
اليوم طليقة ، أنا اليوم في عطلة ولا أحس
صداعاً . وأشعر أنني أصغر مما كنت بالأمس ،
لأنني لم أتعُد الثامنة والعشرين . على كل حال ،
الله موجود . لو أنني كنت متزوجة ، وكان بوسعي

أن أبقى بالبيت طول اليوم ، لكنك أحسن حالا مما أنا (صمت) إذن لأحببت زوجي ..
تيوزينباخ : (مخاطباً سوليني) مللت سماع سخافاتك (يدخل غرفة الجلوس) نسيت أن أقول إن فيرشينين ، القائم مقام الجديد في سلاح المدفعية ، سيزورنا اليوم (يجلس إلى البيانو) .

أولجا : جميل ، يسعدني هذا .

إيرينا : هل هو عجوز ؟

تيوزينباخ : لا ، أبداً .. في الأربعين أو الخامسة والأربعين على أقصى تقدير (يعزف في رقة) يبدو لي أنه رجل ممتاز . إنه بكل تأكيد ليس غيباً . وإن كان يلد له أن يتكلم .

إيرينا : أهو مسل ؟

تيوزينباخ : هو نفسه مسل . ولكنه لا يعيش بمفرده ، فهناك زوجته وحماة وابنتاه ، إنها زوجته الثانية ، وهو لا يفتأ يزور الناس ، ويقول للجميع إنه متزوج وله ابنتان . سيقول لكم هذا الكلام نفسه هنا . الزوجة لا هنا ولا هناك . تصفف شعرها على هيئة منشة ، وتكثر الكلام ، وتتحدث في الفلسفة ، وتحاول الانتحار المرة بعد المرة نكاية في زوجها . لو كنت مكانه لتركها من

زمن بعيد . ولكنه يصبر عليها ويكتفى بالشكوى :

سولينى : (يدخل ومعه تشيبيوتيكين من غرفة الأكل)

أستطيع بيد واحدة أن أرفع أربعة وخمسين رطلا فقط ، ولكنى بكلتا يدي أرفع مائة وثمانين ، بل مائتى رطل ، ومن هذا أستنتج أن قوة رجلين ليست ضعف قوة رجل واحد فقط ، بل هي ثلاثة أضعاف ، وربما أكثر ..

تشيبيوتيكين : (يقرأ صحيفة وهو يسير) إذا وجدت أن

شعرك يسقط ؛ خذ أوقية من النفطالين ونصف زجاجة من الكحول ... أذب النفطالين فى الكحول واستعمل المحلول يوميا ..

(يدون فى مفكرته) دائماً خذ مذكرات بما تقرأ . لست محتاجاً لهذه المذكرة مع ذلك (يجتاز العتبة إلى الخارج) . لا يهم ..

إيرينا : إيفان رومانوفيتش ، عزيزى إيفان

رومانوفيتش !

تشيبيوتيكين : ماذا تريد فتاتى الصغيرة الأثيرة ؟

إيرينا : إيفان رومانوفيتش ، عزيزى إيفان

رومانوفيتش ! أشعر أنى أطير فى سماء زرقاء عريضة ؛ وحوالى طيور بيضاء عظيمة ، لماذا

احس هذا ؟ لماذا ؟

تشيبوتيكن : (يقبل يديها في حنان) يا طيرى الأبيض ..
لايرينا : عندما صحت اليوم ، وتركت فراشى ،
وارتديت ملابسى ، أحسست فجأة أن سر
الأشياء جميعاً قد وقع في يدي ، وإنى أعرف
كيف ينبغي أن تكون حياتى . عزيزى إيفان
رومانوفيتش ، إن كل شيء تكشف لى . على
المرء أن يعمل ، أن يجهد حتى يسيل منه
عرق الجبين ، مهما كان مقداره ، لأن هذا هو
معنى حياته ، وهدفها وسعادتها وحماسها . كم
هو جميل أن يكون المرء عاملاً يصحو في
الفجر ، ويكسر الأحجار ليعبد الطريق ،
أو أن يكون راعياً ، أو مدرساً يعلم الأطفال ،
أو سائق قطار يا إلهى .. ليس هذا
فقط ، بل خير للمرء أن يكون ثوراً أو مجرد
حصان — لا يهم أيهما طالما كان قادراً على
العمل — من أن يكون امرأة شابة تصحو في
الثانية عشرة ، وتشرب قهوتها في الفراش .
وتنطق ساعتين في ارتداء ثيابها . أوه ، إنه أمر
فضيع .. إن حاجتى للعمل تعدل ما نحس به
من ألم العطش حينما يشتد الحر . إيفان
رومانوفيتش ؛ إن لم أصبح مبكرة في قابل

الأيام ، وأنصرف إلى عمل ما ؛ حق لك أن
تحرمنى صداقتك .

تشيبوتيكين (فى رقة) سأفعل .. سأفعل ..

أولجا : كان من عادة الوالد أن يلزمنا بالاستيقاظ فى
السابعة . أما الآن فإن إيرينا تصحو فى السابعة ،
وتظل راقدة تفكر فى شىء ما حتى التاسعة
على الأقل . وكم تبدو جادة المظهر !
(تضحك)

إيرينا : أنت قد اعتدت أن تعتبرينى طفلة ، حتى بات

غريباً عليك أن أبدو جادة ، إننى فى العشرين .

تيوزينباخ : أفهم جيداً ذلك الحنين للعمل . يا إلهى إننى

لم أعمل يوماً واحداً فى حياتى ؛ ولدت فى

بترسبورج - وهى مكان بارد - كسول ، فى

أسرة لم تعرف قط معنى العمل أو الهم . أذكر

أننى كنت كلما عدت من فرقتى بادرنى الخادم يخلع

لى حذائى ، على حين أتململ أنا ، وتنظر أُمى إلى

فى عبادة ، وتعجب لأن الناس لا يروننى بالعين

نفسها التى ترائى بها . كانوا يدرأون عنى العمل .

ولكن ها هو ذا عصر جديد يطلع علينا فجره ،

فى الوقت المناسب . الناس يزحفون علينا

جميعاً .. وعاصفة قوية ماثحة للحياة

تتجمع أمامنا وتقرب ، وسرعان ما تهب علينا
فتطرد أمامها الكسل واللامبالاة ... وكراهة
العمل والبلادة الفاسدة التي تصيب مجتمعنا .
سأعمل أنا ، وفي خلال خمس وعشرين أو ثلاثين
سنة سيعمل كل الناس ... كل واحد منهم !

تشيبيوتكين : أنا لن أعمل قط .

تيوزينباخ : أنت لاتهم أحداً .

سولينى : بعد خمس وعشرين سنة سنكون قد متنا جميعاً

والحمد لله ، وخلال سنتين أو ثلاث ، ستموت

أنت بالسكته ، وإلا فسأضربك أنا بالرصاص ،

يا غرامى !

(يخرج من جيبه زجاجة عطر ، ويضمخ

صدره ويديه) .

تشيبيوتكين : (يضحك) ما تقوله صحيح ، أنا لم أعمل

قط بعدما تخرجت فى الجامعة ، لم أحرك أصبعاً

أو أفتح كتاباً ، كنت أقرأ الصحف فقط ..

(يخرج من جيبه صحيفة ثانية) مثلاً : علمت

من الصحف أن كاتباً يدعى دوبرولوبوف^(١)

قد وجد يوماً على قيد الحياة . ولكن ماذا

(١) دوبرولوف (١٨٣٦ - ١٨٦١) ناقد روسى مرموق ، لفت

إليه الأنظار رغم قصر حياته .

كتب ، لا أدري . الله وحده يدري .. (يسمع
دق على الأرض ، يصدر من الطابق السفلي)
خذ .. إنهم ينادونني من الطابق الأسفل وأحدهم
قد جاء يزورني . سأعود بعد دقيقة . لن
أغيب ..

(يخرج في سرعة وهو يحك لحيته)

إيرينا : إنه ينتوى أمراً .

تيوزينباخ : أجل . لقد بدا سعيداً وهو خارج ، حتى لأعتقد
أنه لا بد راجع بهدية لك بعد قليل .

إيرينا : شيء مخيف ..

أولجا : أجل . مريع .. إنه دائماً يرتكب حماقات

ماشيا : قرب البحر شجرة بلوط خضراء .

وحوالها حلقة من الذهب الوهاج .

حلقة من الذهب الوهاج .^(١)

(تنهض وتغني برقة) :

أولجا : لست اليوم على مألوف مرحك يا ماشا .

(ماشا تغني وهي تلبس قبعها) . أين تذهبين ؟

ماشيا : إلى البيت .

إيرينا : هذا غريب .

تيوزينباخ : وفي يوم عيد القديسة راعيتها أيضاً .

(١) من قصيدة بوشكين : « روسلان ولودميلا »

ماشيا : لا يهيم ، سآتى فى المساء . لك تحياتى يا عزيزتى .
(تقبل ليرينا) . كل عام وأنت طيبة ، ولو أنى
قلتها من قبل . زمان ، حينما كان أبونا حيًّا ،
كان ثلاثون أو أربعون ضابطاً يحضرون أعياد
ميلادنا . كانوا يحدثون ضجيجاً كثيراً ،
ويجلبون معهم المرح ، أما اليوم ، فضيوفنا رجل
ونصف ، والبيت موحش كالصحراء ...
سأخرج . أنا اليوم كاسفة البال ، لا مرح
عندى ، فلا تأبهوا بى . (تضحك من خلال
دموعها) . سنتحدث فيما بعد ، أما الآن فإنى
أتركك . سأذهب إلى مكان آخر .

ليرينا : (مستاءة) أنت غريبة الأطوار .
أولجا : (تبكى) أنا أفهمك ، يا ماشا .
سولينى : حينما يخوض رجلان فى حديث فلسفى فتلك
فلسفة أو سفسطة . أما أن تتحدث امرأة أو
امرأتان فى الفلسفة ، فاسمحوا لى ...

ماشيا : ماذا تقصد بهذا أيها الرذيل ؟
سولينى : لا شيء ، « وحتى الزفرات ما ملك أن يطلقها ،
فقد برك عليه الدب بكل ثقله »^(١)

(١) من أحداث الكانب كريلوف : « الفلاح والخدام » . وكريلوف
كاتب روسى اشتهر بهذا اللون من الكتابة (١٧٦٩ - ١٨٤٤)

ماشا : (لأولجا فى غضب) لا تبكى !
 (تدخل أنفيسا وفيرابونت يحملان كعكة) !
 أنفيسا : من هنا يا عزيزى . ادخل لا تخف ، فقد ماك
 نظيفتان . (لإيرينا) من مجلس الحى . من
 ميهائيل ايفانيتش بروتوبوبوف ... كعكة .
 إيرينا : شكراً لك . أرجوك أن تشكره لى (تتناول
 الكعكة) .
 فيرابونت : ماذا تقولين ؟
 إيرينا : (بصوت مرتفع) أرجوك أن تشكره .
 أولجا : أعطيه فطيرة يا دادة . فيرابونت ، اذهب معها
 فستعطيك فطيرة .
 فيرابونت : ماذا ؟
 أنفيسا : هيا ، أيها الجدة فيرابونت سبيريدونيتش . هيا .
 (يخرجان)
 ماشا : لا أحب هذا الميهائيل بوتابيتش أو إيفانيتش
 بروتوبوبوف .. لا ينبغي أن ندعوه هنا .
 إيرينا : لم أدعه قط .
 ماشا : حسناً .. إذن ..
 (يدخل تشيبوتيكين يتبعه جندى يحمل «ساموفار»
 من الفضة . تسمع همهمة من الدهشة الساخطة)
 أولجا : (تغطى وجهها يديها) ساموفار .. هذا فظيع
 : (تخرج إلى غرفة الأكل وتتجه إلى المائدة) .

إيرينا : يا عزيزى إيفان رومانوفيتش . ما هذا الذى فعلته ؟

تيوزينباخ : (ضاحكاً) ألم أقل لكم ؟..

ماشيا : إيفان رومانوفيتش .. أنت عديم الحياء ..

تشيبوتيكين : يا فتاتى العزيزة ، أنت الوحيدة لى فى الحياة .

أنت أعز من أعرف وأنا رجل عجوز سيبلغ الستين تقريباً . عجوز وحيد لا غناء فيه ، إن خير ما فى حبي لك ، ولولاه لمت من زمان بعيد (لإيرينا) يا شابتى العزيزة . لقد عرفتك من يوم ميلادك وحملتك بين ذراعى هاتين ، وأحببت أملك الراحلة .

ماشيا : ولكن هداياك جد غالية !

تشيبوتيكين : (غضبان من خلال دموعه) هداياى غالية !

يا لك من ... (للجندى) أدخل الساموفار

هنا .. (يغيظها) هداياى غالية . !

(يدخل الجندى غرفة الطعام بالساموفار)

أنفيسا : (تدخل وتجتاز المسرح) عزيزتى ، قدم إلينا

كولونيل غريب علينا ! لقد خلع معطفه دون

انتظار . أيها الأولاد إنه قادم هنا . حبيبى

إيرينا ، ستقابلينه بلطف وأدب أليس كذلك ؟

كان يجب أن تتغدوا من زمن .. يا إلهى ..

تيوزينباخ : لا بد أنه فيرشينين (يدخل فيرشينين) ليفتينانت
كولونيل فيرشينين .

فيرشينين : (لماشا وإيرينا) يشرفني أن أقدم نفسي .
اسمى فيرشينين ، كم يسعدني أن . أستطيع
المجيء أخيراً . شد ما كبرتما . أوه ! أوه !

إيرينا : تفضل بالجلوس . نحن سعيدتان لمقدمك ..

فيرشينين : (في مرح) وأنا سعيد . جد سعيد .. ولكنكما
كنتما ثلاث شقيقات قطعاً . أنا أذكر ثلاث
بنات ، لا أذكر الوجوه . ولكني أعرف أن
أباكما كولونيل بروسوروف كان له ثلاث
بنات صغيرات ، أذكر هذا تماماً . لقد رأيتهن
بعضهن هاتين . ما أسرع . ما يمر الزمن . آه ،
ما أسرع ما يمر !

تيوزينباخ : الكسندر إيجناتيفيتش من أهل موسكو .

إيرينا : من موسكو ! أنت من موسكو ؟

فيرشينين : نعم . كان أبوك قائد بطارية هناك ، وكنت
أنا ضابطاً في اللواء نفسه . (لماشا) أنا أعرفك
شيئاً ما .

لماشاشا : أما أنا فلا أذكرك ..

إيرينا : أوبجا ! أوبجا ! (تهتف في غرفة الأكل)

أوبجا ! تعالى ! (تدخل أوبجا من غرفة الطعام)

ليفتيئات كولونيل فيرشينين من أهالى موسكو .

فيرشينين : أعتقد أنك أولجا سيرجييفنا . كبرى الشقيقات ،

وأنك أنت ماريا . وأنت إيرينا ، الصغرى ..

أولجا : إذن فأنت من موسكو ..

فيرشينين : أجل .. لقد تلقيت علومى فى موسكو .. بدأت

خدمتى هناك ، وبقيت فيها مدة طويلة حتى

عينت أخيراً قائد بطارية ، فنقلت إلى هنا كما

ترين . أنا فى الواقع لا أذكرك وإنما أعرف

فقط أن أباك كان له ثلاث بنات ، أما أبوك

فأذكره جيداً ولو أغمضت عيني قليلاً فسأراه

كما كان إذ ذاك ، كان من عادتي التردد

على بيتكم فى موسكو .

أولجا : كنت أظن أننى أذكر الجميع .. ولكن ..

فيرشينين : اسمى الكسندر إيجناتيفيتش .

إيرينا : الكسندر إيجناتيفيتش .. أنت قادم من موسكو ؟

هذه فى الواقع مفاجأة !

أولجا : سنذهب إلى هناك قريباً ..

إيرينا : نأمل أن نكون هناك فى الحريف . إنها بلدنا

فقد ولدنا فيها . فى طريق بسباني القديم

(تضحكان جذلاً) .

ماشيا : إذن فقد عثرنا فجأة على واحد من أهل بلدتنا

(فى نشاط) أتذكرين يا أولجا كيف كانوا يتحدثون عن « الميجور المتيم » . كنت مغرماً بسيدة ما ولم تكن إلا مجرد ليفتينانت ، ومع ذلك فقد أطلقوا عليك اسم « الميجور المتيم » .

فيرشينين : تماماً « الميجور المتيم » بالضبط .
ماشيا : كان لك شارب إذ ذاك . ولكنك الآن أكبر سنّاً ! (من خلال دموعها) أنت الآن أكبر سنّاً . !

فيرشينين : أجل كانوا يسمونى « الميجور المتيم » كنت شاباً إذ ذاك وكنت مغرماً . وأنا الآن لا هذا ولا ذاك .

أولجا : ولكن ما من شعرة بيضاء واحدة فى رأسك . أنت أكبر سنّاً ، ولكنك لم تصبح بعد عجوزاً
فيرشينين : أنا فى الثانية والأربعين على أية حال ، هل طال بكم الوقت بعيداً عن موسكو ؟

إيرينا : إحدى عشرة سنة : ماشيا ، لماذا تبكين أيتها البلهاء ؟ (تبكى) أنا الأخرى أبكى .
ماشيا : لا شىء . وأين كنت تسكن ؟

فيرشينين : فى طريق باسمانى القديم .

أولجا : مثلنا .

فيرشينين : سكنت فى الشارع الألمانى ذات مرة حينما

كانت القيادة العليا فى الثكنات الحمراء .

بين الشارع والثكنة جسر قبيح المنظر يندفع
تحت الماء . إن المرء ليشعر بالحزن إذا ما عاش
بمفرده فى مثل ذلك المكان . (صمت) النهر

هنا فسيح وجميل ! نهر رائع !

أولجا : أجل ، ولكن البرد شديد . البرد هنا شديد
جداً . والبعوض ...

فيرشينين : ماذا تقولين ! الجو هنا جو روسى بحق ،
يجلب الصحة ، وعندكم غابة ونهر وأشجار
البتولا ، يا للبتولا العزيزة المتواضعة . أحبها أكثر
من أية شجرة أخرى . هنا مكان يطيب فيه
العيش . ولكنى لا أفهم لماذا تبعد محطة السكة
الحديدية ثلاثة عشر ميلاً من هنا .. ولا أحد
يدرى .

سولينى : أنا أدرى (الكل ينظرون إليه) لأنها لو كانت
قرية فلن تكون بعيدة ، وما دامت بعيدة
فلن تكون قرية (لحظة ضمت محرج)

تيوزينباخ : رجل مضحك .

أولجا : الآن عرفت من تكون . تذكرت .

فيرشينين : وعرفت أمك زمناً .

تشيبيوتيكين : كانت امرأة طيبة ، رحمها الله .

إيرينا : أمنا مدفونة في موسكو .

أولجا : في مقبرة نوفو - ديفيتشي .

ماشيا : أتدرون أنني بدأت أنسى ملاحمها ، ونحن أيضاً

سينسانا الناس بالطريقة نفسها .

فيرشينين : أجل سينسوننا . إنه مصيرنا ولا دافع له .

سيأتي وقت ينسى فيه الناس ، أو يعتبرون تافهاً

كل ما نعهده نحن الآن جليلاً أو ذا معنى ،

أو كبير الأهمية (صمت) والغريب في الأمر

أننا الآن لا نستطيع أن نفرق بين ما سيقدر له

أن يصبح عظيماً وهاماً من أمورنا ، وبين

ما سيعتبر هزيراً سخيفاً . ألم تبد اكتشافات

كوبرنيكوس أو كولومبوس ، مثلاً ، لاجدوى

لها أو حتى مضحكة في أول الأمر ، على حين

عدت بمخافات كتبها واحد أو آخر من

المغفلين ، عين الحقيقة ولها ؟ بالمثل ، قد

تبدو حياتنا الحاضرة - التي نرضى عنها كل

هكذا الرضا - لمن يلينا من أجيال ،

غريبة وعيرة ، غيبة قلرة ، بل متورطة في

الخطيئة .

تيوزينباخ : من يدري ؟ ومع ذلك فقد تعتبر الأجيال

القادمة حياتنا هذه نبيلة وتمجد ذكرها . لقد

ألفينا التعذيب ، وقضينا على عقوبة الإعدام .
ونحن الآن نعيش في أمان ، ومع ذلك فما أكثر
ما يشوب حياتنا من ألوان الشقاء .

سولينى : (فى صوت ضعيف) لو أنكم تركتم البارون
ينحوض فى حديث الفلسفة فلن يتناول غداءه
قط .

تيوزينباخ : فاسيلى فاسيليفيتش أرجوك أن تتركنى وشأنى
(يجلس على مقعد آخر) أنت ، كما تعلم ، غبى .
سولينى : (فى ضعف) ياه .. ياه .. ياه ..

تيوزينباخ : (لفيرشينين) إن العذابات التى نحس بها اليوم ،
وهى كثيرة جداً ، تبين أن ثمة تقدماً خلقياً
قد طرأ على المجتمع .

فيرشينين : أجل . أجل طبعاً ..

تشيبيوتيكين : قلت الآن يا بارون إن الأجيال القادمة قد
تعتبر حياتنا نبيلة فكيف ونحن على كل هذا
الصغار (يقف) انظر؟ كم أنا قمى! .. (عزف
على الكمان بالخارج)

ماشيا : هذا أندريه يعزف — أخونا .

إيرينسا : إنه عالم الأسرة . أظن أنه سيصبح أستاذاً يوماً ما .
كان أبونا جندياً ، ولكن ابنه اختار لنفسه
طريق الجامعة .

- ماشيا : كانت هذه رغبة والدنا .
- أولجا : لقد غظناه اليوم شيئاً ما ، نحن نظن أنه مغرم .
- إيرينا : يحب سيدة من أهل الناحية ، لعلها تأتي هنا اليوم .
- ماشيا : ليتك ترى ملابسها ! إنها بديعة . وعلى آخر طراز ولكنها رديئة . جونلة صفراء فاقعة غريبة الشكل . ذات أهداب مريعة المنظر . وبلوزة حمراء ، وبشرتها ... يا لها من بشرة ! . أندريه لا يحبها . فهو على كل حال له ذوق . إنه فقط يغيظنا . سمعت أمس أنها تنوى الزواج من بروتوبوبوف ، رئيس المجلس المحلي . هذا زوج يوافقها .
- (تتجه إلى الباب الجانبي) أندريه ، تعال . تعال ، دقيقة واحدة يا عزيزي .. (يدخل أندريه)
- أولجا : أخى .. أندريه سرجيفيتش .
- فيرشنين : اسمي فيرشنين .
- أندريه : واسمى بروسوروف (يمسح عرق يديه) عينت هنا قائداً للبطارية ؟
- أولجا : تصور أن الكسندر إيجناتيفيتش من أهالي موسكو ! .
- أندريه : جميل جداً .. الآن لن تذوق طعم الراحة بسبب شقيقتي .
- فيرشنين : بالعكس ، أنا نفسي أضجرت شقيقتك .

إيرينا : انظر هذا الإطار اللطيف الذى أهدانيه أندريه
اليوم (ترى الإطار ، لفيرشينين) لقد صنعه
بنفسه .

فيرشينين : (ينظر إلى الإطار ، ولا يدرى ماذا يقول) نعم .
إنه شيء ...

إيرينا : وقد صنع أيضاً الإطار الذى تراه على البيانو .
(أندريه يلوح بيده ويمضى)

أولجا : إنه يحمل درجة جامعية ، ويعزف الكمان ،
ويصنع الأشياء من الخشب ، فهو فى الواقع
« كريتون العجيب » من طراز منزلى ، لا تذهب
يا أندريه . إنه اعتاد هذه العادة ؛ أن يترك
الناس ويمضى . تعال هنا . !

(تمسك كل من ماشا وإيرينا بذراعيه ، وتأتیان
به وهما تضحكان)

ماشا : تعال .. تعال :

أندريه : اتركاني وشأني من فضلكما :

ماشا : أنت شخص مضحك . لقد أطلق الناس على
الكسندر اجناتيفيتش اسم « الميجور المتيم »
فلم يأبه ..

فيرشينين : مطلقاً ..

ماشا : أود أن أسميك أنت العازف المتيم :

إيرينا : أو الأستاذ المتيم .

أولجا : إنه مغرم ! أندريه الصغير مغرم !
إيرينا : (تصفق) برافو . برافو ! أعد ! أندريه الصغير
مغرم .

تشيبوتيكين : (يلف من وراء أندريه ويمسك به من وسطه
بذراعيه) لقد دفعت بنا الطبيعة إلى الحياة
لمجرد أن نحب (ينفجر ضاحكاً ، ثم يجلس
ويقرا صحيفة يخرجها من جيبه) .

أندريه : كفى . كفى .. (يمسح وجهه) لم أستطع
النوم طيلة ليلة الأمس ، وهانذا لا تكاد تحملني
قدماي . قرأت حتى الرابعة صباحاً . ثم حاولت
أن أنام ، ولكني لم أفلح . أخذت أفكر في
شيء تلو الآخر ، ثم طلع الفجر ، وزحفت
الشمس إلى مخدعي . أريد في هذا الصيف وأنا
هنا أن أترجم كتاباً انجليزياً ..

فيرشينين : أتعرف الإنجليزية ؟

أندريه : نعم إن أبانا ، رحمه الله ، علمنا بما يشبه
العنف . وقد أبدوا لك مضحكاً أو سخيلاً حين
أقول إنني بعد موته أخذت أسمن وأتكور ،
كما لو كان جسمي قد رفع عنه ضغط كبير .
ولكنها الحقيقة ، بفضل أبي نتكلم الآن ، أنا
وأخواتي : الفرنسية ، والألمانية ، والإنجليزية ،

بينما تعرف إيرينا الإيطالية أيضاً ، وقد دفعنا لقاء كل هذا ثمناً فادحاً .

ماشأ : معرفة ثلاث لغات ترف لا ضرورة له في هذه

البلدة . إنه ليس ترفاً فحسب . بل هو تزيّد لا فائدة فيه ، كأن تنبت للإنسان أصبع سادسة مثلاً . إننا نعرف أكثر مما نحتاج إليه ...

فيرشينين : آه . حقاً ؟ (يضحك) وإذن فأنتم تعرفون

أكثر مما تحتاجون إليه ! لا أظن أن هناك بلدة يبلغ بها الانحطاط حد التنكر لإنسان ماهر مثقف مثلك . فلنفرض أن بين المائة ألف ممن يسكنون بلدتنا هذه ، ثلاثة فقط يدانونك ثقافة .

فماذا يحدث ؟ بالطبع لن تستطيعوا أن تقهروا ذلك الجهل الأسود المحيط بكم . . . ستقدم بكم السن ، ورويداً رويداً ... تضطرون إلى التسليم في واقعة بعد أخرى ، ثم تبتلعكم جموع المائة ألف بشرى وتمتصكم حياتهم .

ولكن لا تظني أنكم ستخففون دون أن تتركوا وراءكم أثراً . فلن يلبث أن يخلفكم آخرون .

ربما كانوا ستة في هذه المرة . ثم اثني عشر وهكذا .. حتى يصبح من هم على شاكلتكم كثرة من الناس في نحو مائتين أو ثلاثمائة من السنين

ستكون الحياة على هذه الأرض أجمل وأعجب
من أن يلحقها خيال . إن البشرية تحتاج حياة
كهذه فإن لم تتحقق الآن لنا ، فعلىنا أن
نتطلع إليها ، وننتظرها ، ونهياً لها . علينا أن
نرى ونعرف أكثر مما رأى وعرف أبائنا وأجدادنا
(يضحك) ثم تقولين : إنك تعرفين أكثر مما
ينبغي ! .

ماشيا : (تلخع قبعتها) سأتناول معكم الغداء .
إيرينا : (تنهد) أجل ، ينبغي أن يدون هذا الذى
قيل . (يكون أندريه قد خرج فى هدوء)
تيوزينباخ : تقول : إنه بعد عشرات السنين ستصبح الحياة
على هذه الأرض جميلة وعجيبة . وهذا
حق .. ولكن إذا أردنا أن نشارك فى هذه
الحياة من الآن ، ولو على مبعدة ، وجب أن
نهياً للعمل .

فيرشنين : أجل . يا لكثرة ما عندكم "من زهور . (ينظر
حواليه) ويا لها من شقة بديعة ، إننى أحسدكم !
لقد قضيت حياتى كلها فى حجرات ليس فيها
إلا كرسيان وأريكة ومدافئ دائمة التدخين ،
لم يكن لى قط زهور مثل هذه الزهور .
(يفرك يديه) طيب .. طيب ..

تيوزينباخ : أجل علينا أن نعمل ، ربما تقولون لأنفسكم « إن هذا الألماني يكثر من الكلام ، ولكنى أؤكد لكم أنى روسى ، حتى الألمانية لا أتكلمها . لقد كان أبى من أتباع الكنيسة الأرثوذكسية (صمت) ..

فيرشينين : (يتمشى فى أرجاء المسرح) كثيراً ما أقول لنفسى : لنفرض أنه كان فى إمكاننا أن نبدأ حياتنا من جديد ، ونحن على وعى بما نريد أن نحققه لأنفسنا ، لنفرض أنه كان فى إمكان الواحد منا أن يستخدم حياته الذاهبة كمسودة لحياة أخرى جديدة ؟ ماذا كان يحدث إذن ؟ أعتقد أن كلاً منا كان يسعى ، قبل كل شيء ، إلى أن يحيا حياة جديدة ، أو فى القليل كان يحاول أن يعيد النظر فى أسلوب حياته الراهنة فيعمل على أن يضمن لنفسه حجرات كهذه وزهوراً وأنواراً .. إن لى زوجة وبنتين وزوجتى عيلة .. إلى آخره . فلو قدر لى أن أبدأ حياتى من جديد فلن أتزوج .. لا .. لا .. (يدخل كوليجين فى رداء المدرسة الموحد) . كوليجين : (يتقدم إلى إيرينا) أختى العزيزة ، اسمح لى أن أهتلك فى هذا اليوم المقدس بالنسبة لملاكك

الحارس ، وأن أرجو لك ، بإخلاص ومن أعماق
قلبي الصحة الطيبة ، وكل ما يتمنى المرء لفتاة
في مثل سنك .. ثم دعيني أقدم لك هذا الكتاب
هدية مني . (يعطيها إياه) إنه تاريخ مدرستنا
الثانوية في الخمسين عاماً الماضية ، كما دونته
أنا . إنه كتاب عديم القيمة ، كتبته لأنني لم أجد
شيئاً آخر أعمله ، ولكن أقرئيه مع كل هذا .
طاب يومكم أيها السادة (لفيرشينين) اسمي
كوليجين ، وأنا مدرس بمدرسة البلدة الثانوية
(لإيرينا) في هذا الكتاب تجددين قائمة بأسماء
كل من أتموا الدراسة بالمدرسة في الخمسين
عاماً الماضية . (يقبل ماشا)

إيرينا : ولكنك أعطيتني نسخة من الكتاب في عيد
الفصح الماضي .

كوليجين : (يضحك) لا يمكن ! إذن اعطيني هذه
النسخة أو اعطيها للكواونيل . خذها يا كواونيل .
قد تقرأها في يوم تكون فيه ضجراً ..

فيرشينين : شكراً (يتهيا للرحيل) أنا جد سعيد لأنني
تعرفت ...

أولجا : أجب أن ترحل ؟ لا تفعل . ليس بعد ..

إيرينا : امكث وتناول معنا الغداء .

أولجا : افعل . من فضلك .

فيرشينين : (ينحنى بالتحية) الظاهر أننى جئت فى يوم
عيد القديسة راعيتك . اعذرينى فلم أكن أعلم
ولم أتقدم بالتهنئة .

(يذهب مع أولجا إلى غرفة الطعام)

كوليجين : اليوم هو الأحد يوم الراحة ، دعونا نسترح
ونمرح : كلا بالطريقة التى تلائم سنه ومزاجه ،
علينا أن نرفع الأبسطة ونخزنها حتى الشتاء ،
فقد جاء الصيف ؛ وأن نستعمل لحفظها المسحوق
الفارسى أو النفطالين . كان الرومان أصحاب
لأنهم عرفوا كيف يعملون وكيف يستريحون ،
كان لهم «العقل السليم فى الجسم السليم» ، كانت
حياتهم تجرى على نمط محدد معروف . يقول
ناظر المدرسة : « إن أهم ما فى الحياة هو نمطها ،
وكل من يفقد نمطه يفقد نفسه » ، والشئ نفسه
ينطبق على حياتنا اليومية (بمسك ماشا من
وسطها وهو يضحك) ماشا تحببى ، زوجتى
تحببى . يجب أن تنزعوا ستائر النوافذ أيضاً
وتخزنوها مع الأبسطة . إننى اليوم أشعر
برضا بالغ عن الحياة . ماشا ، علينا أن نكون
فى بيت ناظر المدرسة فى الرابعة لقد نظموا

نزهة على الأقدام للمعلمين وعائلاتهم .

ماشا : لن أذهب .

كوليجين : (مجروحاً) لماذا يا عزيزتى ماشا ؟

ماشا : سأخبرك فيما بعد . (فى غضب) حسناً إذن .

سأذهب ، فقط أرجوك أن تبعد عني .

(يتأخر عنها)

كوليجين : ثم نقضى السهرة فى بيت المدير . إن هذا الرجل ،

رغم اعتلال صحته ، يتفق أكبر جهده فى

النشاط الاجتماعى ، إنه شخصية فذة مضيئة ،

رجل عجيب ، وأمس بعد انقضاء جلسة

اللجنة قال لى .. أنا متعب يا فيودور اليتش ، أنا

متعب ! (ينظر إلى ساعة الحائط ثم إلى ساعته)

ساعتكم بها سبع دقائق تقديم . وأضاف المدير :

« نعم أنا متعب » (عزف كمان بالخارج) .

أولجا : لنذهب لتناول الغداء . لدينا تحفة من تحف القرن !

كوليجين : عزيزتى أولجا ، يا عزيزتى . أمس أخذت

أعمل حتى الساعة مساء وتعبت أشد التعب ،

واليوم أنا سعيد (يذهب إلى غرفة الأكل) .

تشيبوتيكين : (يضع صحيفته فى جيبه ، ويمشط لحيقه)

فطيرة ؟ مدهش !

ماشأ : (لتشيبوتيكين فى شدة) اسمع : لن تشرب شيئاً اليوم . أفاهم ؟ إن الشرب مضر بصحتك .

تشيبوتيكين : لا يهملك هذا .. إننى لم أسكر من عامين ، وعلى كل حال فالصحة والمرض سواء بالنسبة إلى ...

ماشأ : ليكن ، إياك أن تشرب ، مع هذا (فى غضب وصوت خفيض حتى لا يسمعه زوجها) أمسية مخيفة أخرى عند المدير ، يا للعة !

تيوزينباخ : لو كنت مكانك ما ذهبت ، هكذا ببساطة .. تشيبوتيكين : لا تذهبي ..

ماشأ : أجل « لا تذهبي » كأنما هذا هو الحل السعيد . إنها حياة لعينة لا تحتمل .

تشيبوتيكين : (يتبعها) ليست بكل هذا السوء ...

سولينى : (يدخل غرفة الأكل) ما شاء الله . ما شاء الله .

تيوزينباخ : فاسيلى فاسيليفيتش ، كفى هراء . اسكت ..

سولينى : ما شاء الله . ما شاء الله .

كوليجين : (فى مرح) فى صحتك يا كولونيل ! أنا مرب فلا أحس هنا بأننى مرتاح . أنا زوج ماشأ . سيدة كريمة العنصر . كريمة جداً ..

فيرشينين : سأشرب شيئاً من هذه القودكا السوداء (يشرب)

في صحتك (لأولجا) أنا هنا سعيد جداً (إيرينا
وتيوزينباخ هما الوحيدان الآن في غرفة الجلوس)

إيرينا : ماشا عصبية اليوم .. لقد تزوجت وهي في
الثامنة عشرة وكان زوجها يبدو لها إذ ذاك
أحكم الناس ... أما الآن فالأمر مختلف . إنه
أطيب الناس قلباً ، لكنه ليس أحكمهم .

أولجا : (في نقاد صبر) أندريه متى تأتي ؟

أندريه : (من بعيد) دقيقة واحدة (يدخل ويتجه إلى
المائدة) .

تيوزينباخ : فيم تفكرين ؟

إيرينا : أنا لا أحب هذا السلوب .. بل لأنني أخافه .
هو لا ينطق إلا بكل سخيف .

تيوزينباخ : إنه غريب الأطوار . وأنا أرثي له ، رغم أنه
يغیظني . أعتقد أنه خجول بطبيعته . حينما نكون
معاً نحن الاثنين فقط ، يصبح عادياً ورفيقاً
موثلاً . ولكنه في حضرة الناس يصير خشناً يسىء
معاملة من هم دونه . لنبق هنا وندعهم يتناوون
الغداء ... دوننا . دعيني أبق معك . فيم
تفكرين ؟ (صمت) أنت في العشرين .
وأنا لم أبلغ الثلاثين بعد .. ما أكثر ما أماننا

من سنين ، صفوف وراء صفوف من الأيام
الطويلة المليئة بحبي لك .

إيرينا : ° نيكولاى لفوفيتش .. لاتحدثنى عن حبك لى ..
تيوزينباخ : (لا يسمع) إن بى ظمأ شديداً للحياة ،
للنضال ، للعمل . وهذا الظمأ قد امتزج بحبي
لك يا إيرينا ، وأنت رائعة الحسن والحياة جميلة
فى عيني ! فيم تفكرين ؟

إيرينا : تقول : إن الحياة جميلة . وددت لو رأيتها
كذلك . إن حياتنا ، نحن الثلاثة ، لم تكن
جميلة حتى الآن . لقد كتمت الحياة أنفاسنا
كما لو كنا حشائش ضاربة . إننى أبكى .
ولا ينبغي أن أفعل (تمسح دموعها وتبتسم)
علينا أن نعمل ، نعمل ، إن بطالتنا سبب
شقائنا ، ومصدر النظرة الحزينة التى ننظر بها
إلى الدنيا . إننا لا نعرف ما هو العمل ، وآباؤنا
كانوا يحتقرون العمل .. (تدخل ناتالينا
إيفانوفنا ، ترتدى رداء وريدياً وحزاماً أخضر)

ناتاشا : بدأوا الأكل . تأخرت . (تنظر إلى نفسها
فى المرآة بعناية وتصلح من هيأتها) أظن أن
تسريحة شعري ملائمة (ترى إيرينا) عزيزتى

إيرينا سيرجيفينا . أهنتك . (تقبلها طويلا
وبقوة) عندكم زوار كثيرون فيا لحجلى ..
كيف حالك يا بارون ؟

أولجا : (تأتي من غرفة الأكل) هذه نتالينا إيفانوفنا
قد حضرت .. كيف حالك يا عزيزتى !

ناتاشا : كل عام وأنتم بخير . إننى خجول جداً .
وعندكم ناس كثيرون .

أولجا : كلهم أصدقاءنا . (بصوت خفيض فيه فزع)
تلبسين حزاماً أخضر ! يا عزيزتى ، هذا
لا يليق .

ناتاشا : هل هو دلالة سيئة ؟

أولجا : لا ... ولكنه لا ينسجم مع باقى الرداء . ومنظره
غريب .

ناتاشا : (فى صوت باك) صحيح ؟ ولكنه ليس
أخضر فى الواقع . إنه أشد انطفاء من أن يكون
أخضر . (تدخل غرفة الأكل مع أولجا . الجميع
الآن حول المائدة ، وغرفة الجلوس خالية) .

كوليجين : أرجو أن يتقدم لك خطيب جميل يا إيرينا .
لقد حان وقت زواجك .

تشيبيوتيكين : وأتمنى لك الأمنية نفسها يا نتاليا إيفانوفنا .

كوليجين : لتتاليا إيفانوفنا خطيب فعلا .

- ماشيا : (تنقر بشوكتها على الطبق) تعالوا نسكر جميعاً ، ونحيا حياة الملوك ولو مرة !
- كوليجهين : خصم ثلاث درجات من سلوكك ..
- فيرشينين : هذا شراب جميل . أى شراب هو ؟ ..
- سولينى : صنع من الخنافس السوداء .
- إيرينا : (فى دموع) يو .. يا للقرف ..
- أولجا : فى العشاء سنتناول ديكاً محمراً وفطيرة تفاح .
- كم أنا سعيدة لأننى أستطيع البقاء بالمنزل طيلة النهار والمساء . طبعاً ستأتون فى المساء أيضاً ، أيها السيدات والسادة ..
- فيرشينين : وهل تسمحون لى أنا أيضاً بالمجىء ..
- إيرينا : تفضل بالحضور .
- ناتاشا : إنهم هنا لا يعبأون بالرسميات .
- تشيبيوتيكين : منحتنا الطبيعة الحياة كى نحب (يضحك) .
- أندريه : (فى غضب) من فضلك اسكت .. ألا تتعب أبداً من ترديد هذا ؟ (يدخل فيدوتيك وورود يحملان سلة كبيرة من الزهور)
- فيدوتيك : لقد بدأوا الأكل فعلاً .
- رود : (بصوت عال غليظ) نعم .. لقد فعلوا .
- فيدوتيك : انتظروا لحظة .. (يلتقط صورة) هذه واحدة . لا ، لا تتحركوا .. لحظة واحدة .

(يلتقط صورة أخرى) اثنتين . الآن نحن
مستعدان .. (يأخذان السلة ويمضيان إلى
غرفة الأكل حيث يستقبلان استقبالا
صاخبا) .

رود : (في صوت عال) تهانينا وأطيب أمنياتنا !
الجو بديع اليوم ، تام الروعة ، كنت طيلة
الصباح أصحب طلبة المدرسة الثانوية . إنني
أقوم بتمريناتهم الرياضية ..

فيدوتيك : تستطيعين أن تتحركي يا إيرينا سيرجيفنا
(يلتقط صورة) أنت جميلة اليوم .
(يخرج من جيبه نخلة) هذه بالمناسبة : نخلة
موسيقية لها لحن جميل .

إيرينا : يا للبداعة .

ماشيا : قرب البحر شجرة بلوط خضراء

وحوالها حلقة من الذهب الوهاج .

حلقة من الذهب الوهاج .

(في دموع) لماذا أردد هذه الأغنية ؟ لقد

ظلت كلماتها تطن في أذني طيلة النهار ..

كولييجين : إننا ثلاثة عشر على المائة ..

رود : (بصوت عال) أنت طبعاً لا تؤمن بهذه

الخرافة (يضحك) .

كوليجين : وجود ثلاثة عشر شخصاً معناه أن بيننا أحبة .
يا للمصيبة ! أنا لا أعنيك أنت يا إيفسان
رومانوفيتش .. (ضحك) .

تشيبوتيكين : أنا طبعاً « مجرم معتاد » ولكنى مع هذا لا أرى
لماذا يتخرج وجه ناتاليا احمراراً (ضحك عال ..
وتخرج ناتاشا بسرعة إلى غرفة الجلوس يتبعها
أندريه) .

أندريه : لا تعبئ بهم ! . انتظرى . قفى لحظة من
فضلك ..

ناتاشا : إننى خجول . لست أدري ماذا بهيئتى ، وهم
كلهم يضحكون منى .. أعلم أنه ليس لطيفاً
منى أن أترك المائدة على هذه الصورة . ولكنى
لم أستطع الصبر ، لم أستطع (تغطى وجهها
بيديها)

أندريه : يا عزيزتى أرجوك .. أتوسل إليك ألا تستثيرى
نفسك . أوكد لك أنهم يمزحون . إنهم طيبون
كلهم . يا عزيزتى ، يا فتاتى الطيبة ، إنهم
كلهم طيبون مخلصون ، وهم يحبونك ويحبوننى .
تعالى هنا إلى النافذة فلن يرونا هنا (ينظر
حواليه)

ناتاشا : أنا غير معتادة أن أقابل الناس !

أندريه : آه يا لشبابك ، يا لشبابك الرائع الجميل !
يا غالىتى لا تشرى نفسك ! صدقيني ، صدقيني
أنا جد سعيد ، وروحي ملآنة بالحب والنشوة ..
لأنهم لا يروننا ، لا يمكن أن يرونا ! لماذا ،
لماذا . أو أين وقعت فى غرامك ؟ أوه أنا لا أفهم
شيئاً . يا عزيزتى ، يا غالىتى الوحيدة ، كوني
زوجتى . أحبك أحبك . كما لم أحبك قط .
(يتبادلان القبيل . يدخل ضابطان وحيثما يريان
الحبيين فى عناق . يقفان مندهشين)

« ستار »

الفصل الثاني

(المنظر السابق نفسه . الوقت .. الثالثة بعد الظهر : يسمع عزف على الأكورديون يأتي من الشارع . ليس في الغرفة نار .. تدخل ناتاليا إيفانوفنا في ملابس البيت وفي يدها شمعة تقف إلى جوار الباب المؤدى إلى غرفة أندريه ...)

ناتاشا : ماذا تفعل يا أندريه ؟ هل تقرأ ؟ لا شيء ، أردت فقط (تفتح باباً آخر وتنظر إلى الداخل ثم تغلقه) ألا توجد نار في المدفأة ..؟

أندريه : (يدخل وفي يده كتاب) ماذا تفعلين يا ناتاشا ؟ ناتاشا : أردت أن أعرف : هل توجد نار في المدفأة .

إن اليوم عيد الاعتراف ، والحادمة تكاد تجن ، وعلى أن أحترس حتى لا يقع حادث . حينها دخلت غرفة الأكل في منتصف الليلة الماضية وجدت شمعة مضاءة ، ولم أستطع أن أحمليها على أن تقول من أضاءها (تضع شمعتها) كم الساعة ؟

أندريه : (ينظر إلى ساعته) الثامنة والرربع .

ناتاشا : ولم تعد أوجا ولا إيرينا بعد . إن المسكينتين
لا تزالان تعملان . أوجا في مجلس المدرسين
وإيرينا في مكتب التلغراف (تنهد) قلت
لأختك صباح اليوم « إيرينا ، أيتها العزيزة ،
حافظي على نفسك » . ولكنها لاتأبه لنصحي .
هل قلت إن الساعة الثامنة والربع ؟ أخشى
أن يكون بوبيك الصغير مريضاً . لماذا هو بارد
هكذا ؟ أمس كان محمواً أما اليوم فهو بارد .
أنا مرتاعة جداً .

أندريه : لا تخافي يا ناتاشا . الولد بخير .
ناتاشا : ليكن ، ولكني أعتقد أنه من الأفضل أن
نعمل له رجماً . كم أنا خائفة ! والفنانون قالوا :
لأنهم سيحضرون بعد التاسعة . الأحسن ألا
يحيثوا الآن يا أندريه .

أندريه : أعتقدين هذا ؟ اذكرى أننا نحن دعوناهم .
ناتاشا : هذا الصباح حينما صحا الصغير من نومه ورآني ،
ابتسم فجأة . هذا يدل على أنه عرفني . قلت له
« صباح الخير يا صغيرى بوبيك ، صباح
الخير يا حبيبي » فضحك . إن الأطفال يفهمون .
يفهمون جيداً .. لهذا سأقول للخدم ألا يدعوا
الفنانين يدخلون ..

أندريه : (في تردد) ولكن ماذا نقول لشقيقتي .. ؟
هذه شقتهن .

ناتاشا سينزلن على رغبتى . هن لطيفات (ذاهبة)
طلبت أن يقدم لك اللبن الرايب فى العشاء .
يقول الطبيب : إنك لن تحس حتى تأكل اللبن
الرايب ، ولا شىء غيره (تقف) الولد يحس
برودة . أخشى أن تكون غرفته أبرد من أن
يحملها . من الخير أن أضعه فى غرفة أخرى
حتى يأتى الدفء . غرفة إيرينا ، مثلاً ، تلاثمه
تماماً ، إنها جافة وتدخلها الشمس طول النهار .
سأخبرها بهذا . وهى تستطيع أن تشارك أوجا
غرفتها . إنها لا تأتى إلى البيت نهائياً قط . فقط
تنام هنا بالليل (صمت) حبيبى أندريه .
لماذا أنت صامت هكذا ؟ ..

أندريه : كنت أفكر ... ليس لدى ما أقوله فى الحقيقة .
ناتاشا : اسمع : أريد أن أقول لك شيئاً .. أريد أن
أتذكره أولاً . نعم هذا هو : فيرابونت قدم
من المجلس ويريد أن يراك .

أندريه : (يتأهب) أدخله هنا .
(ناتاشا تخرج . يقرأ أندريه فى كتابه ، وهو

منحن على الشمعة التي تركتها زوجته . يدخل
فيرا بونت . يرتدى سترة قديمة ممزقة مرفوعة
الياقة ، وقد غطيت أذناه بوشاح) .

أندريه : صباح الخير يا جدى . ماذا تطلب ؟

فيرا بونت : رئيس المجلس أرسل لك كتاباً وبعض وثائق
أو ما أشبه . هذه هي .. (يعطيه كتاباً وربطة)

أندريه : شكراً . لماذا لم تأت قبل هذا ؟ إنها الثامنة
والنصف الآن .

فيرا بونت : ماذا تقول ؟

أندريه : (يرفع صوته) أقول : إنك تأخرت . الساعة
تعدت الثامنة .

فيرا بونت : نعم نعم . جئت قبل مغيب الشمس ، ولكنهم
لم يسمحوا لى بالدخول . قالوا إنك مشغول ، فإذا
كنت أستطيع أن أفعل ؟ إذا كنت مشغولاً
فأنت مشغول . وأنا لا شيء يدعوني للعجلة
(يظن أن أندريه يسأله عن شيء) ماذا ؟

أندريه : لا شيء (ينظر فى الكتاب) غداً الجمعة وأنا
لا أذهب إلى المكتب عادة . ولكنى سأذهب
مع هذا .. وأعمل قليلاً الحياة مملة فى البيت .
(صمت) أيها العجوز العزيز . غريبة هي
الحياة فى غيرها ، ما أشد ما نخدعنا ! اليوم

من فرط الضجر التقطت هذا الكتاب .. وهو
مجموعة محاضرات جامعية قديمة ، فلم أستطع
أن أمنع نفسي من الضحك . يا إلهي إني
سكرتير المجلس المحلي ، المجلس الذي يرأسه
بروتوبوبوف . أجل أنا السكرتير .. ومنتهى
ما يبلغ إليه أملى أن أصبح عضواً بالمجلس .
أنا أصبح عضواً بالمجلس المحلي ! أنا الذي
يحلم في كل ليلة بأن يصبح أستاذاً في
جامعة موسكو ، وعالمًا كبيراً تفخر به روسيا
كلها . !

فيرا بونت : أنا لا أسمعك . سمعي ثقيل .
أندريه : لو لم تكن شبه أصم ، ما ظننت أنني محدثك
في هذا الشأن . يجب أن أنفّس عن نفسي
بالحديث إلى شخص ما ، وزوجتي لا تفهمني
وأخاف الحديث إلى شقيقتي شيئاً ما — لا أدري
لماذا ، وإن كنت أظن أن هذا راجع إلى أنهم
يسخرون مني ، ويجعلني أشعر بالهزل . وأنا
لا أشرب ولا أحب الحانات ولكن ، ما أشد
ما أحب أن أكون جالساً الآن في حانة
تيبستوف في موسكو . أو في حانة « موسكو
الخطيمة » أيها العجوز العزيز !

فيرابونت : موسكو ؟ قال لى واحد من المقاولين إنه رأى

بعض التجار يأكلون الفطائر المحلاة هناك :

أكل واحد منهم أربعين فطيرة ثم مات ..

أربعين أو خمسين فطيرة لا أذكر أيهما ..

أندريه : فى موسكو تستطيع أن تجلس فى مطعم هائل

لا تعرف أحداً فيه . ولا يعرفك فيه أحد ، ومع

ذلك لا تشعر بأنك غريب . وهنا تعرف كل

الناس . والناس كلهم يعرفونك ومع ذلك

فأنت غريب ... غريب ووحيد ..

فيرابونت : ماذا ؟ والمقاول نفسه قال لى : إن هناك حبلا

يمتد عبر موسكو كلها ..

أندريه : وما فائدته ؟

فيرابونت : لا أدري . المقاول قال هذا .

أندريه : كلام فارغ (يقرأ) هل ذهبت إلى موسكو

فى حياتك ؟

فيرابونت : (بعد قليل) لا .. لم يشأ الله لى أن أذهب

(صمت) هل أتركك الآن ؟

أندريه : افعل . مع السلامة (يخرج فيرابونت) مع

السلامة (يقرأ) تعال غداً ونخذ هذه الأوراق ..

عجل بالخروج (صمت) لقد ذهب (صوت

جرس) حاضر ... حاضر ...

(يتمطى ويدخل غرفته فى ببطء . خلف المنظر ،
ترى المربية تغنى للطفل كى ينام . تدخل ماشا
وفيرشينين . أثناء حديثهما توقد خادم الشموع
والمصباح)

ماشيا : لا أدرى (صمت) لا أدرى . بالطبع للعادة
فى هذا دخل كبير ؛ بعد موت أبى مثلاً
ظللنا وقتاً طويلاً ونحن نفتقد جنود المراسلة .
ولكن ، بصرف النظر عن تأثير العادة ،
يبدو لى ، مهما يكن من أمر البلدان الأخرى ،
أن أحسن الناس وأكثرهم تعليماً هنا هم رجال
الجيش ..

فيرشينين : أنا ظمآن . أريد بعض الشاى .
ماشيا : (تنظر إلى ساعتها) سيقدم الشاى حالا ..
لقد زوجونى حينما كنت فى الثامنة عشرة .
وكنت خائفة من زوجى أول الأمر ، لأنه
كان مدرساً وكنت أنا قد تخرجت فى المدرسة
منذ وقت قصير . لقد بدا لى إذ ذاك هائل
الحكمة كثير المعرفة ، كبير الأهمية . أما الآن
فقد ذهب هذا الوهم مع الأسف .

فيرشينين : أجل . أجل ؟
ماشيا : لست أعنى بما سأقوله حالاً ، زوجى . فقد

اعتدت أحواله ، ولكن المدنيين في الغالب
خشنو الطباع ، سيئو الأدب . غير متعلمين .
إن وقاحتهم تؤذيني وتغضبني . أنا أتألم حينما
أرى رجلاً قليل التهذيب أو الرقة أو الأدب .
إنني أسقى كوؤوس العذاب ، حينما أكون بين
زملاء زوجي من المدرسين .

فيرشينين : أجل .. يبدو لي مع هذا أن المدنيين ورجال
الجيش كلاهما مسل وطريف في هذه
البلدة على الأقل . الكل سواء ! لو استمعت
إلى أحد أفراد الانتيليجينسيا المحلية ، مدنياً كان
أم عسكرياً ، فستجدينه ضيقاً بزوجه وبمنزله
وبعزبته وبجياده .. نحن الروس لنا قدرة رائعة
على التفكير المتسامي . ولكن قولي لي بربك
لماذا نهبط إلى هذا الحد في واقع حياتنا ؟ لماذا ؟
ماشا : لماذا ؟

فيرشينين : لماذا يضيق الروسي بأبنائه وزوجته ؟ ولماذا
تضيق به زوجته وأبناؤه ؟

ماشا : أنت محزون شيئاً ما ، اليوم .

فيرشينين : ربما . أنا لم أتناول عشايتي بعد .. لم آكل شيئاً
منذ الصباح ، وابنتي تشكو بعض المرض ..
وحينما تمرض بناتي أشعر بقلق شديد ، وأحس

بوخر الضمير لأنى اخترت لهن مثل هذه
الأم . لو كنت رأيتها اليوم ! يا لها من شخصية
تافهة ! بدأنا نتشاجر من الساعة صباحاً ،
وفى التاسعة صفقت الباب بشدة ، وخرجت
(صمت) أنا لا أتحدث عنها قط ، ومن
الغريب أنى أختصك بشكوى (يقبل يديها)
لا تغضبى على ... مالى سواك . لا أحد على
الإطلاق .. (صمت) .

ماشا : ياله من صوت فى القرن . قبل وفاة أبى مباشرة
أحدثت المواسير صوتاً كهذا الصوت .

فيرشينين : أتؤمنين بالخرافات ؟

ماشا : نعم .

فيرشينين : غريب (يقبل يديها) أنت امرأة رائعة ،
عجيبة . رائعة ، عجيبة ! المكان مظلم هنا
ولكننى أرى عينيك تتألقان .

ماشا : (تجلس على كرسى آخر) هنا أكثر نوراً ..

فيرشينين : أحبك . أحبك . أحب عينيك ، وحركاتك ،
وأحلم بها . امرأة عجيبة رائعة !

ماشا : (ضاحكة) حينما تحدثنى على هذا النحو ،

أجدنى أضحك . لا أدرى لماذا ؟ لأننى فى
الواقع أشعر بالخوف . لا تكرر ما قلت الآن

من فضلك (في صوت خفيض) لا ، بل
استمر ، فالأمر عندى سيان (تغطى وجهها
بيديها) إنسان ما يتجه إلينا . فلتحدث في
شيء آخر .. (تدخل إيرينا وتيوزينباخ من
غرفة الأكل) .

تيوزينباخ : إن اسم أسرتى هو فى الواقع ثلاثة أسماء : فى
واحد . إننى أدعى البارون « تيوزينباخ -
كرون - التسشاور » ، ولكننى روسى أورثوذكسى
مثلك . لم يعد بى من الألمانى شيء ، اللهم إلا
الإلحاح والعناد اللذان أضجرك بهما . آية
هذا أننى أوصلك لمنزلك كل ليلة .

إيرينا : شد ما أنا متعبة !

تيوزينباخ : وسأظل أذهب إلى مكتب التلغراف كل يوم
عشر سنوات أو عشرين حتى تطردنى طرداً
(يرى ماشا وفيرشنين . يقول فى مرح)
أهذان أنما ؟ كيف الحال ؟

إيرينا : أنا فى البيت أخيراً . (لماشا) اليوم قدمت سيدة
إلى المكتب لترسل برقية لأخيها فى سراتوف
تنبئه فيها بأن ابنها مات اليوم . ولكنها لم تكن
تذكر عنوان أخيها .. فأرسلت البرقية دون
عنوان . إلى سراتوف وحسب . كانت تبكى ،

ولا أدري لماذا عاملتها بفضاظة . قلت لها :
« لا تضيعى وقتى » . يا لها من غباوة منى ..
هل سيأتى الفنانون الليلة ؟

ماشا : نعم ..
إيرينا : (تجلس فى مقعد وثير) أريد أن أستريح
أنا متعبة .

تيوزينباخ : (مبتسما) حينما تعودين من عمالك تبدين جد
صغيرة وجد .. تعسة (صمت) .
إيرينا : أنا متعبة ... لا ، أنا لا أحب مكتب التلغراف .
لا أحبه .

ماشا : لقد نحلت .. (تصفر قليلا) وأنت الآن
أصغر سنا . ووجهك أصبح شبيهاً بوجه الولد .
تيوزينباخ : هذا سببه تسريحة شعرها .

إيرينا : يجب أن أبحث عن عمل آخر . عملى الحالى
لا يلائمنى .. إن ما كنت أريده ، وما أملت
الحصول عليه لا يوجد هنا . عمل بلا فن ،
بلا أفكار . (طرق على الباب) الطبيب أتى
(لتيوزينباخ) أسمع طرق الباب يا عزيزى ؟
أنا لا أستطيع ... متعبة (تيوزينباخ يطرق)
سيأتى حالا . يجب أن نفعل شيئاً . بالأمس
لعب أندريه والطبيب الورق فى النادى وخسرا

بعض المال . يبدو أن أندريه فقد مائتي روبل ..

ماشيا : (بلا احتفال) وماذا نستطيع أن نفعل الآن؟

إيرينا : لقد خسر مبلغاً آخر من أسبوعين وثالثاً في

ديسمبر . لعله لو خسر كل ماله لحملنا هذا

على الرحيل من هذه البلدة . يا إلهي إنني أحلم

بموسكو كل ليلة . إنني كالمجنونة سواء بسواء

(تضحك) سنذهب إلى موسكو في يونيو .

ومن هنا حتى يونيو هناك فبراير ومارس

وأبريل ومايو .. نصف عام تقريباً . !

ماشيا : فقط علينا ألا نخبر ناتاشا بهذه الخسائر .

إيرينا : أظنها لن تتأثر كثيراً لو سمعت بها .

(يدخل تشيبيوتكين إلى غرفة الأكل ، ويمشط

لحيته ثم يجلس إلى المائدة ويخرج صحيفة من

جنبه . كان مستريحاً في سريره بعد العشاء

وقدم لتوه من هناك)

ماشيا : هذا هو .. هل دفع إيجاره ؟

إيرينا : (تضحك) لا . لقد مضت عليه ثمانية أشهر

لم يدفع فيها كويكاً واحداً . يبدو أنه

نسى ..

ماشيا : (تضحك) يا للعظمة تشيع في جلسته !

(يضحكون جميعاً : صمت)

إيرينا : لماذا أنت صامت هكذا يا الكسندر

إيجناتيفيتش ؟

فيرشينين : لا أدري . أريد بعض الشاي . أعطى نصف

حياتي مقابل قدح من الشاي . لم آكل شيئاً

منذ الصباح .

تشيبيوتكين : إيرينا سيرجيفنا .

إيرينا : ماذا تريد ؟

تشيبيوتكين : تعالى هنا من فضلك .

(تذهب إليه إيرينا وتجلس قرب المائدة)

أنا لا غنى لي عنك (تبدأ إيرينا في لعب

البيشنس)

فيرشينين : إذا كنا لن نحصل على شاي فلا أقل من أن

نتفلسف :

تيوزينباخ : أجل .. نتفلسف . ولكن في أي موضوع ؟

فيرشينين : أي موضوع ؟ فلتأمل .. لنبحث ما يكون من

أمر الحياة بعدنا . بعد مائتين أو ثلاثمائة سنة مثلاً .

تيوزينباخ : بعد زماننا هذا سيظهر الناس في بالونات ،

وستتغير طريقة تفصيل السترات ، وربما

اكتشفوا حاسة سادسة في الإنسان وطوروها ،

ولكن الحياة ستظل ، أساساً ، كما هي ..

ملئة بالعمل ، غامضة ، وسعيدة . وبعد ألف عام ، سيقول الناس كما يقولون اليوم : « الحياة صعبة ! » وفي الوقت نفسه سيخافون الموت كما يخافونه اليوم ، ويرغبون عن لقاءه كما نفعل نحن ..

فيرشينين : (في تفكير) كيف أشرح لكم قصدي ؟ يبدو لي أن كل شيء على ظهر الأرض لا مفر له من أن يتغير ، رويداً رويداً ، وهو يتغير فعلاً أمام أعيننا . وبعد مائتين أو ثلاثمائة عام ، بل بعد ألف فالزمن الفعلي لا يهم ، ستقوم حياة جديدة سعيدة . نحن بالطبع لن نساهم فيها .. ولكننا اليوم نحيا ونعمل ، بل نقاسى حتى يتسنى لهذه الحياة أن تقوم . إننا نخلقها ، وفي هذا الهدف مصيرنا ، وإن شئتم سعادتنا أيضاً .

(ماشا تضحك في رقة) .

تيوزينباخ : ماذا يضحكك ؟

ماشا : لا أدري . ظلت طول اليوم أضحك — منذ الصباح .

فيرشينين : لقد أنهيت عملي عند المرحلة نفسها التي وقفتم أنتم عندها . لم أدرس في الجامعة . وقرأت

كثيراً ، غير أننى لا أحسن اختيار ما أقرأ ،
وربما كان ما أقرأه ليس ما ينبغى لى أن أقرأه .
غير أننى كلما تقدمت فى السن زاد شوقى
إلى المعرفة . إن شعرى يبيض ، وقد أوشكت
أن أصبح الآن عجوزاً ، ومع هذا فما أعرفه
قليل ، قليل حتماً . أحسب مع هذا أننى أعرف
من الأشياء أكثرها أهمية وأقربها إلى الواقع .
هذه أعرفها جيداً . وبودى لو استطعت أن
أنقل إليكم ما أذهب إليه من أنه لا سعادة
هناك لنا . لا ينبغى ولا يمكن أن يكون هناك
سعادة . من واجبنا أن نعمل ، نعمل . ولن
تكون السعادة من نصيب أحد سوى أحفادنا
البعيدى (صمت) إذا لم أسعد أنا فليسعد
أحفاد أحفادى .

(يدخل فيدوتيك ورود إلى غرفة الأكل ..
يجلسان ويغنيان فى رقة ، وهما يجذبان أوتار
الجيتار)

تيوزينباخ : رأيك أن المرء يجب أن يطرح عنه مجرد التفكير
فى السعادة ! ولكن لنفرض أننى أشعر بالسعادة
فعلاً !

فيرشينين : يجب ألا يفكر المرء فى السعادة .

تيوزينباخ : (يحرك يده ويضحك) الظاهر أنه لا يفهم
أحدنا الآخر . كيف أقنعك ؟ (ماشا تضحك
في هدوء . تيوزينباخ يواصل الحديث وهو
يشير إليها) أجل . إضحكى (لفيرشينين)
ستظل الحياة كما هي ليس فقط لقرنين قادمين
أو ثلاثة ، بل لمليون سنة . الحياة لا تتغير . إنها
تظل كما هي . تتبع قوانينها الخاصة وهذه الأخيرة
لا شأن لنا بها . أو على الأقل نحن لن نستطيع
أن نعرفها قط . الطيور المهاجرة ، الكراكي ،
مثلاً تطير وتطير ومهما يمر برووسها من
أفكار ، سامية كانت أم وضیعة ، فستطير ،
وهي لا تدري لم وإلى أين . ستظل تطير
وتطير . حتى لو قام بينها المتفلسفة من
الطيور - فلتفلسف هذه ما شاءت - ولكنها
مع ذلك ستطير .

ماشا : ومع هذا ، أهنأك معنى ؟ .
تيوزينباخ : معنى . ها هو ذا الثلج يتساقط . أى معنى ؟
(صمت)

ماشا : يبدو لي أن المرء محتاج إلى الإيمان ، أو أن
من واجبه أن يبحث عن إيمان ما ، وإلا
أصبحت حياته خالية .. خالية ... تصور أن

يحيا المرء دون أن يعلم لم تطير الكراكي ؟
ولم يولد الأطفال ؟ ولم تتألق النجوم في السماء ؟ ..
أما أن يعلم المرء لماذا يعيش أو يصبح كل شيء
في نظره تافها لا يساوى قشه ... (صمت)

فيرشينين : ومع هذا فأنا آسف لضياح شباني .
ماشأ : يقول جوجول : إن الحياة في هذه الدنيا مسألة
مملة . يا سادتي !

تيوزينباخ : وأنا أقول : إن من الصعب مناقشتكم . يا سادتي !
يا للعة .

تشيبيوتيكين : (يقرأ) تزوج بلزك في بيرديتشيف (إيرينا
تغنى في صوت خفيض) هذا يستأهل التدوين
(يأخذ مذكرة) بلزك تزوج في بيرديتشيف .
(يواصل القراءة)

إيرينا : (تنشر أمامها أوراق اللعب في شرود ذهن)
بلزك تزوج في بيرديتشيف .

تيوزينباخ : قضى الأمر . لقد قدمت استقالتى يا ماريأ
سيرجييفنا .

ماشأ : هكذا سمعت . لست أدري ما الفائدة من
هذا . أنا لأحب المدنيين .

تيوزينباخ : لا بأس .. (ينهض) أنا لست رشيقياً . ما فائدتي
كجندى ؟ على كل حال لا فرق بين الحالين .

سأعمل . لو أننى استطعت أن أعمل ولو مرة
واحدة فى حياتى ، ثم عدت إلى البيت فى
المساء فارتيمت منهكاً على فراشى ونمت على
الفور . (يدخل غرفة الأكل) . العمال فيما
أرى ينامون نوماً عميقاً !

فيوديتك : (لإيرينا) اشتريت لك منذ قليل بعض أقلام
التلوين من محل بيزيكوف ، على طريق
موسكو . وهذه مطواة صغيرة .

إيرينا : أصبحت عادتلك أن تعاملنى كما لو كنت
فتاة صغيرة .. لقد كبرت . (تأخذ الأقلام
والمطواة بفرح) كم هى بديعة !

فيدوتيك : واشتريت لنفسى مطواة .. انظرى إليها .
سلاح ، وآخر ، وثالث ، ومنظف أذن ،
ومقص ، ومنظف أظافر ..

رود : (بصوت عال) يا دكتور . كم عمرك ؟

تيوتشيبكين : أنا ؟ اثنان وثلاثون (ضحك)

فيدوتيك : سأريك طريقة أخرى للعب البيشنس .

(ينشر أمامه الورق . يدخل الساموفار تحت
إشراف أنفيسا . بعد قليل تدخل ناتاشا وتساعد
الخدم عند المائدة . يأتى سولينى وبعد التحايا .
يجلس قرب المائدة)

فيرشينين : يا لها من ريح !
 ماشا : أجل قد تعبت من الشتاء . لقد نسيت الآن
 كيف يكون الصيف .
 إيرينا : كدنا ننتهى من الدور فيما أظن . سنذهب
 إلى موسكو .
 فيدوتيك : لا ، لم ننته بعد . انظري إن الثمانية كانت على
 اثنتى البستونى . (يضحك) هذا معناه أنكم
 لن تذهبوا إلى موسكو .
 تشيبوتيكين : (يقرأ الصحيفة) تستسيجار . الجدرى منتشر
 هناك بشكل وبائى .
 أنفيسا : (تقترب من ماشا) ماشا .. اشربى الشاي .
 يا صغيرتى (لفيرشينين) وأنت يا سيدى ،
 تفضل .. اعذرني ، فقد نسيت اسمك .
 ماشا : احضري لى الشاي هنا يا دادة . لن أذهب إلى
 حيث أنت .
 إيرينا : دادة !
 أنفيسا : حاضر ، حاضر !
 ناتاشا : (لسولينى) الأطفال الرضع يفهمون تماماً ما يقال
 لهم . قلت له « صباح الخير يا بوييك ، صباح
 الخير يا حبيبي ! » فنظر إلى بطريقة غير
 عادية . قد تظن أننى أتحدث كأم . ولكنى

أؤكد لك أن الأمر ليس كذلك . إنه طفل
عجيب .

سولينى : لو كان طفلي لقليته فى المقلاة وأكلته . (يأخذ

قدح الشاى إلى حجرة الجلوس ويجلس فى ركن) .

ناتاشا : (تغطى وجهها بيديها) يالك من سوقى ،

قليل التربية !

ماشاشا : سعيد من لا يتبين ما إذا كانت الدنيا شتاء أم

صيفاً الآن . أظن أننى لو كنت فى موسكو

ما عبأت كثيراً بالجو .

فيرشينين : من أيام قليلة كنت أقرأ مذكرات وزير فرنسى

سجين حكم عليه بسبب فضيحة قناة بناما .

يا للفرحة ، يا للجدل ، اللذين يتحدث بهما

عن طيور كان يراها خلال قضبان نافذة السجن

ولم يكن ، وهو وزير ، يلحظ الطيور قط .

أما الآن وقد أطلق سراحه فقد عاد إلى سابق

إهماله للطيور . حينما تذهبين للسكنى فى

موسكو سيحدث لك ما حدث للوزير ... إن

السعادة لا وجود لها إلا فى أمانينا .

تيوزينباخ : (يأخذ صندوقاً من الورق المقوى من على

المائدة) أين الفطائر ؟

إيرينا : أكلها سولينى .

تيوزينباخ : كلها ؟

أنفيسا : (تقدم الشاي) خطاب لك .

فيرشينين : لي أنا (يأخذ الخطاب) من ابنتي (يقرأ) أجل

بالطبع .. سأنصرف هدوء . اعذريني يا ماريا

سيرجيفنا . فلن أتناول الشاي (يقف في

عصبية) القصة الخالدة .

ماشيا : ماذا ؟ أهو سر ؟

فيرشينين : (في هدوء) زوجتي تناولت السم مرة أخرى .

على أن أذهب . سأنصرف في هدوء . إنه أمر

يدعو إلى النكد : (يقبل يد ماشيا) يا عزيزتي .

يا سيدتي الرائعة الطيبة سأذهب من هنا في

هدوء (يخرج) ..

أنفيسا : أين ذهب ؟ وبعد أن صبّت الشاي .. أما رجل !

ماشيا (بعصبية) اسكتي . إنك تضايقين الناس

إلى درجة أننا لا نستريح منك لحظة

(تذهب إلى المائدة بفنجانها) لقد ضقت بك

أيها العجوز !

أنفيسا : يا حبيبتى : لماذا أنت مغضبة ؟

(صوت أندريه) أنفيسا !

أنفيسا : (تقلده في سخرية) أنفيسا . يجلس في حجرته

و (يخرج) .

ماشيا : (فى غرفة الأكل وهى واقفة إلى جوار المائدة ،
مغضبة) فلأجلس (تغير ترتيب أوراق اللعب)
هيه .. حتى لا تعودا إلى نشر أوراقكما هكذا .
تناولا الشاى بدلاً من هذا !

إيرينا : أنت مغضبة يا ماشا .

ماشيا : ما دمت مغضبة فلا تحدثينى . لا تقربينى !

تشيبيوتيكين : لا تقربوها .. لا تلمسوها ...

ماشيا : أنت فى الستين ، ومع ذلك تتصرف كصبي .
دائماً تفكر فى سخافة كريمة أو أخرى .

ناتاشا : (تنهد) يا عزيزتى ماشا . لماذا تستعملين هذه
الألفاظ ؟ بمظهرك الجميل هذا ، تستطيعين أن
تكونى فاتنة المجتمعات لولا ألفاظك . أقول
لك هذا صراحة

Je vous prie, pardonnez-moi, Marie,
mais vous avez des manières un peu
grossières. (١)

تيوزينباخ : (يكم ضحكته) أعطنى .. أعطنى .. هناك
شيء من الكونياك فيما أعتقد .

ناتاشا : Il paraît, que mon Bobich déjà ne
dort pas. (٢)

(١) أرجوك عفواً ، يا مارى ، إن تصرفاتك فظة شيئاً ما .

(٢) يبدو أن « بوفيش » لا زال مستيقظاً .

لقد صحا ، إنه مريض اليوم .. سأذهب إليه .
عن إذنكم (تخرج) .

إيرينا : أين ذهب الكسندر إيجناتيفيتش ؟

ماشيا : إلى بيته . شيء آخر مريع حدث لزوجته .

تيوزينباخ : (يذهب إلى سولينى ومعه زجاجة كونياك)

لا زلت تجلس وحيداً . تفكر فى شيء ما —

الله أعلم ما هو — تعال نتصالح . لنشرب شيئاً

من الكونياك (يشربان) أظن أننى سأضطر

إلى العزف على البيانو طول الليل . سأعزف

بعض السخافات على الأغلب . حسناً . ليكن .

سولينى : لماذا نتصالح ؟ أنا لم أتشاجر معك .

تيوزينباخ : أنت دائماً تحملنى على الظن بأن شيئاً قد حدث

بيننا . أنت شخص غريب . ولا داعى

للإنكار .

سولينى : (منشداً) : « أنا غريب الأطوار . ولكن

من منا عادى ؟ لا تغضب منى يا أليكو » (١)

تيوزينباخ : ما دخل أليكو فى المسألة ؟ (صمت)

سولينى : حينما أكون مع فرد واحد فقط تكون تصرفاتى

عادية . ولكننى مع الجماعة غبى خجول أقول

كثيراً من السخافات . غير أننى أكثر شرفاً

(١) أليكو : بطل قصيدة النعج ، لپوشكين .

وأمانة من كثير . كثير جداً من الناس ، ولدى
الدليل .

تيوزينباخ : كثيراً ما أغضب منك . إنك غالباً ما تلزم

صحبتى فى الحفلات ، وهذا يضجرنى .

ولكننى مع ذلك أميل إليك . الليلة سأشرب

ما وسعنى ، مهما حدث . اشرب ، الآن .

سولينى : لنشرب (يشربان) ما حققت عليك قط

يا بارون ، ولكن شخصيتى تماثل شخصية

ليرمونتوف^(١) (فى صوت خفيض) بل يقال إننى

أشبه ليرمونتوف إلى حد ما . (يخرج زجاجة

عطر من جيبه ويضمخ يديه)

تيوزينباخ : قدمت استقالتى .. وانتهى الأمر . ظلت أفكر

فى الاستقالة خمس سنين ، وأخيراً صممت .

سأعمل .

سولينى : (ملقياً) : « لا تغضب يا أليكو .. انس ..

انس .. أحلامك بالأمس » .

(يدخل أندريه فى هدوء أثناء الكلام وفى يده

كتاب ثم يجلس قرب المائدة)

تيوزينباخ : سأعمل .

(١) ليرمونتوف ، (١٨١٤-١٨٤١) : شاعر روسى كبير . ولد

فى موسكو وقتل فى مبارزة ، كان له طبع مندفع حزين ، تعبّر عنه أشعاره .

تشيبوتيكيين : (داخلنا مع إيرينا إلى غرفة الأكل) وكان
الأكل يتضمن حساء بصل قوقازي أصيل ،
ومن المشويات شيئاً يقال له شيهارتما .

سولينى : شيهارتما ليس نوعاً من اللحوم ، بل نبات يشبه
البصل .

تشيبوتيكيين : لا ، يا ملاكى ، شيهارتما ليس بصلاً ، إنما
هو لحم ضأن محمّر .

سولينى : وأنا أقول لك : إن شيهارتما نوع من البصل .

تشيبوتيكيين : وأنا أقول لك : إن شيهارتما هو لحم الضأن .

سولينى : وأنا أقول لك : إن شيهارتما نوع من البصل .

تشيبوتيكيين : ما فائدة النقاش معك ! أنت لم تذهب إلى

القوقاز فى حياتك ، ولم تأكل أبداً أى شيهارتما .

سولينى : لم آكلها لأنى أكرهها . إن لها رائحة الثوم .

أندريه : (فى توسل) من فضلكما ، من فضلكما !
أرجوكم !

تيوزينباخ : متى يأتى الفنانون ؟

إيرينا : وعدوا بالحضور حوالى التاسعة . أى أنهم
لا بد أن آتون حالاً .

تيوزينباخ : (يعانق أندريه ويقول)

« يا لبتى .. بيتى ، بيتى الجديد »

أندريه : (يرقص ويغنى)

« مبنى حديثاً من خشب الأسفندان »

تشيبوتيكين : « حيطانه جميعاً كقاع المصفاة . » (ضحك)

تيوزينباخ : (يقبل أندريه) فلتذهب الحيطه إلى الجحيم .

تعال نشرب يا أندريه . أيها الرجل الطيب ،

تعال نشرب معاً .. وسأذهب معك ، يا أندريه

إلى جامعة موسكو ..

سولينى : أى جامعة منهما ؟ فى موسكو جامعتان .

أندريه : فى موسكو جامعة واحدة .

سولينى : اثنتان . أقول لك .

أندريه : ثلاث إذن . كلما زاد العدد كان أحسن .

سولينى : فى موسكو جامعتان (همهمات وأصوات :

هس) فى موسكو جامعتان . الجامعة القديمة

والجامعة الجديدة . وإذا لم ترغبوا فى الاستماع

إلى ، إذا كانت كلماتى تضايقكم ، فسأسكت .

بل أستطيع أن أدخل غرفة أخرى .. (يخرج)

تيوزينباخ : براقو ، براقو ! (يضحك) تعالوا الآن ..

سأعزف لكم . مضحك سولينى هذا .

(يذهب إلى البيانو ويعزف فالس)

ماشيا : (ترقص بمفردها) البارون سكران . البارون

سكران . البارون سكران !

ناتاشا : (تدخل) (لتشيبوتيكين) إيفان رومانوفيتش

(تقول شيئاً لتشيبوتيكين ثم تنصرف في هدوء .

تشيبوتيكين : يلمس كتف تيوزينباخ ويهمس

له بشيء :)

إيرينا : ماذا هناك ؟

تشيبوتيكين : حان وقت الانصراف . سعيدة

تيوزينباخ : ليلتكم سعيدة . آه أن ننصرف .

إيرينا : ولكن الفنانين قادمون ؟

أندريه : (في ارتباك) لن يأتى الفنانون . اسمعى

يا حبيبتي . ناتاشا تقول إن بويك مريض

و .. باختصار ، لا يهمنى هذا فى شيء . المسألة

واحدة بالنسبة إلى .

إيرينا : (تهز كتفها) بويك مريض ؟

ماشيا : ما هذا الذى تقوله ناتاشا ! ليكن ، ما دما

نطرد ضيوفنا فلن يملكوا إلا الخروج (لإيرينا)

بويك بخير . إنها هى المريضة .. هنا !

(تحبط جبهتها) تلك البورجوازية الصغيرة !

(أندريه يدخل غرفته من باب اليمين .

تشيبوتيكين يتبعه . فى غرفة الأكل تسمع

الضيوف يحبون مودعين)

فيدوتيك : يا للأسف ! كنت أظن أننى سأقضى الأمسية

هنا . ولكن ما دام الصغير مريضاً ... سأحضر

له بعض اللعب غداً .

رود : (بصوت عال) نمت طويلا بعد الظهر . لأننى ظننت أننى سأرقص طول الليل . إن الساعة لم تتعد التاسعة .

ماشأ : لنخرج إلى الشارع لنستطيع أن نتحدث . ثم نرتب الأمور .

(تسمع تحيات : سعيدة . ليلة سعيدة ، وضحكة تيوزينباخ المرحة . الكل يخرجون . أنفيسا والخدام تنظفان المائدة وتطفئان الأنوار . المربية تغنى . يدخل أندريه مرتدياً معطفاً وقبعة ومعه تشيبوتيكين . يدخلان صامتين)

تشيبوتيكين : لم أحاول قط أن أتزوج لأن حياتى مرقّت أمامى كالبرق ، ولأننى كنت مغرماً إلى حد الجنون بأمك .. وكانت هى قد تزوجت ..

أندريه : يجب ألا يتزوج المرء . يجب ألا يتزوج لأن الزواج ممل .

تشيبوتيكين : وهكذا ترانى الآن غارقاً فى وحدتى . مهما تقل يا عزيزى فالوحدة شىء مريع .. ولو أنه فى الواقع .. طبعاً .. هذا أمر لا يهم على الإطلاق .

أندريه : لنسرع .

تشيبوتيكين : لماذا أنت مستعجل هكذا ؟ سنصل فى الميعاد ..

أندريه : أخشى أن تستوقفنى زوجتى .

تشيبوتيكين : آه !
 أندريه : لن ألعب الليلة . سأجلس فقط . وأراقب .
 أنا مريض قليلا . ماذا أفعل لأتخلص من
 الربو ، يا إيفان رومانوفيتش ؟
 تشيبوتيكين : لا تسألني ! أنا لا أذكر أيها العزيز .. لا أعرف .
 أندريه : نخرج من المطبخ (يخرجان . يدق الجرس
 مرة . ومرة أخرى . أصوات وضحك)
 إيرينا : (تدخل) ما هذا ؟
 أنفيسا : (تهمس) الفنانون (جرس)
 إيرينا : قولي لهم لا أحد في البيت يا دادة . إعتذري لهم .
 (تخرج أنفيسا . تمشي إيرينا في الغرفة في
 تفكير عميق . تبدو مهتاجة .. يدخل سوليني)
 سوليني : لا أحد هنا . أين ذهب الجميع ؟
 إيرينا : ذهبوا إلى بيوتهم .
 سوليني : غريبة . وأنت وحيدة ؟
 إيرينا : أجل وحيدة (صمت) ليلتك سعيدة .
 سوليني : منذ برهة تصرفت بلا لباقة وبغير تحفظ كافٍ
 ولكنك لست كالأخرين . أنت نبيلة . نقية ،
 وتستطيعين أن تتبين الحقيقة . أنت وحدك
 تفهميني . أحبك ، بعمق وبلا حد . أحبك .
 إيرينا : مع السلامة . اذهب .

سولينى : لا أستطيع العيش من غيرك (يتبعها) آه
يا لسعادتى ! (من خلال دموعه) آه ،
يا للفرحة ! عيان عجيبتان ، رائعتان ، مجيدتان ،
لم أر مثلهما فى حياتى .

إيرينا : (فى برود) اسكت يا فاسيلي فاسيليفتش !
سولينى : هذه أول مرة أحدثك فيها عن الحب وإنى لأشعر
أننى لم أعد أمشى على الأرض ، بل أنا الآن فى
كوكب آخر (يمسح جبهته) لا يهم . لا أستطيع
طبعاً أن أجعلك تحببني بالقوة . ولكنى لن
أصبر على وجود غريم لى يحظى بالعطف من
دورنى . أقسم لك بكل القديسين أننى سأقتل
غريمى . آه أيتها الجميلة !

(تدخل ناتاشا ومعها شمعة . تدخل من خلال
أحد الأبواب ، ثم من خلال باب آخر ، ثم تمر
بالباب المؤدى إلى غرفة زوجها)

ناتاشا : هذا هو أندريه ، فلنتركه يقرأ . معذرة يا فاسيلي
فاسيليفتش . لم أكن أعرف أنك هنا . أنا
مشغولة ببعض الشئون المنزلية .

سولينى : الأمر سواء بالنسبة لى . سعيدة ! (يخرج)

ناتاشا : أنت متعبة جداً يا فتاتى المسكينة (تقبل
إيرينا) آه لو كنت تنامين مبكرة عن هذا .

إيرينا : هل نام بويك ؟

ناتاشا : نعم ولكنه غير مستريح . وبالمناسبة أردت منذ مدة أن أقول لك شيئاً فلم أستطع .. تارة كنت أنت بالخارج ، وتارة أخرى كنت أنا مشغولة .. أظن أن حجرة بويك الحالية باردة ورطبة وحجرتك أنت تلاممه كثيراً أرجوك أيتها العزيزة ، أيتها الحبيبة ، أن تنامى مع أولجا بعضاً من الوقت !

إيرينا : (لا تفهم) أين ؟

(يسمع جرس عربة ترويك . وتقف العربة بباب البيت)

ناتاشا : تستطيعين أن تنامى مع أولجا ، فى الوقت

الحالى ، وينام بويك فى حجرتك . إنه طفل حبيب . اليوم قلت له : « بويك ، أنت طفلى ! ملكى ! » فنظر إلى بعينه الصغيرتين الحبيبتين . (صوت جرس) لا بد أن هذه أولجا : كم تأخرت ! (تدخل الخادمة وتسرع شيئاً لناتاشا) بروتوبوبوف . يا له من رجل غريب الأطوار إذ يفعل شيئاً كهذا . جاء بروتوبوبوف يطلب أن أذهب معه فى نزهة فى الترويك (تضحك) يا له من مضحك هذا

الطراز من الرجال ... (صوت جرس) أحد
بالباب . ماذا لو ذهبت معه للزهة نصف
ساعة .. (للخدمة) .. قولى له إننى لن أتأخر
(صوت جرس) لابد أنها أوجا . تضرب الجرس .
(تجرى الخادمة خارجة . تجلس إيرينا مستغرقة
فى تفكير عميق . يدخل كوليجين وأوجا
يتبعها فيرشينين) .

كوليجين : أرأيت ؟ ومع هذا قلت إن حفلة ستقام .
فيرشينين : غريب . تركت هذا المكان من مدة . غير
طويلة . منذ نصف ساعة . وكان الكل
ينتظرون قدوم الفنانين .

إيرينا : خرج الضيوف كلهم .
كوليجين : وهل خرجت ماشا أيضاً ؟ أين ذهبت ؟ وماذا
ينتظر بروتوبوبوف فى عربته ؟ ينتظر من ؟
إيرينا : لا تزعجنى . أنا متعبة .

كوليجين : أوه ، لقد استبدت بك الأهواء .
أوجا : انتهى اجتماع لجنتنا منذ قليل وأنا مستهلكة .
لقد مرضيت رئيسة اللجنة فحالت محلها .
يا للرأسى . إنه مصدع . (تجلس) . خسر
أندريه مائتى روبل فى لعب الورق أمس ..
البلدة كلها تتحدث فى هذا .

كوليجين : نعم . الاجتماع الذى حضرته استهلكنى أنا أيضاً
(يجلس) .

فيرشينين : قامت فى رأس زوجتى نزوة حفزتها إلى تخويفى
بمحاولة الانتحار بالسّم . لقد انتهت الأزمة ،
وأنا سعيد . أستطيع الآن أن أستريح . ولكن
ربما كان من الأفضل أن نخرج . لكم تحياتى .
فيودور إيليتش . هيا نذهب معاً ! لا أستطيع .
لا أستطيع مطلقاً أن أبقى بالبيت . هيا !

كوليجين : أنا متعب . لا أريد الذهاب (يهتف) أنا
متعب . هل ذهبت زوجتى إلى البيت ؟

إيرينا : أظن هذا .

كوليجين : (يقبل يد إيرينا) طابت ليلتك . سأستريح

طيلة الغد واليوم الذى يليه . أطيب أمنياتى .

(ذاهباً) وددت لو شربت شيئاً من الشاي .

كنت أتطلع إلى قضاء أمسية كاملة فى ضيافة

مرحة و ... ! O, fallacem hominum spem !

فيا لزيّف آمال البشر . أسماء الجملة كلها

فى حالة المفعول به لورودها فى صيغة التعجب .

فيرشينين : إذن سأذهب إلى مكان ما بمفردى (يخرج

ومعه كوليجين وهو يصفر)

أولجا : يا لصداع رأسى . أندريه يخسر باستمرار فى

المدة الأخيرة . البلدة كلها تتحدث . سأذهب
وأستريح (ذاهبة) غداً عطلة . أوه يا إلهي .
يا لها من نعمة ! غداً عطلة وبعد غد أيضاً .
أوه . يا للرأسى يا للرأسى ! (تخرج) .

إيرينا : (وحيدة) ذهبوا جميعاً ، لم يعد هنا أحد .
(يسمع عزف على الأكورديون في الشارع .
المربية تغنى)

ناتاشا : (في معطف ذى فراء وغطاء رأس ، تعبر
غرفة الأكل تتبعها الخادمة) سأعود بعد نصف
ساعة . إننى ذاهبة في نزهة قصيرة (تخرج)
إيرينا : (وحيدة مع شقائقها) إلى موسكو ! موسكو !
موسكو !

— ستار —

الفصل الثالث

(الغرفة المشتركة بين أولجا وإيرينا . سريران وراء ستارتين إلى اليمين والشمال . الساعة تجاوزت الثانية صباحاً : تسمع صفارة الحريق . يبدو أنها قد ظلت منطلقة مدة طويلة . لم يذهب أحد بعد إلى فراشه . ماشا نائمة على أريكة ، مرتدية ، كعادتها ، الملابس السوداء . تدخل أولجا وأنفيسا)

أنفيسا : إنهم في الدور السفلي . جالسون تحت السلام . قلت لهم : « ألا تصعدون ؟ لا يمكن أن تظلوا هكذا » . فلم يملكوا إلا البكاء وقالوا لا نعرف أين أبونا ، لعله الآن قد احترق . يالها من خاطرة ! وفي القناء أناس آخرون عريانون أيضاً .

أولجا : (تخرج رداءً من الصوان) خذى هذا الرداء الرمادى . وهذا ، وهذه البلوزة أيضاً : القميص كذلك ، يا دادة ... يا إلهى ! ياله من أمر مريع ! الظاهر أن طريق كيرسانوفسكى

كله قد احترق . خذى هذا . وهذا . (تلقى إليها ببعض الملابس) إن آل فيرشينين فزعون جدا . فقد احترق بيتهم كله تقريباً . ينبغي أن يقضوا الليلة هنا .. يجب ألا ندعهم يذهبون إلى منزلهم . إن فيدوتيك المسكين احترق بيته تماماً . لم يبق منه شيء .

أنفيسا : هلاً دعوت فيرابونت ، يا عزيزتى أوجا . أنا لا أستطيع بمفردى أن أقوم ...

أوجا : (تدق الجرس) لن يردوا مطلقاً (تقول عند الباب) ادخلوا . كل من بالخارج يدخل ! (من الباب المفتوح ترى نافذة تتوهج احمراراً من اللهب . يسمع صوت سيارة الحريق وهى تمر بالبيت) يا له من أمر مريع . لشد ما أنا ضيقة به ! (يدخل فيرابونت) خذ هذه الأشياء إلى الدور السفلى . إن بنات آل كولوتيلين هناك . أعطهن هذه الملابس . وهذا الرداء أيضاً .

فيرابونت : حاضر يا سيدتى . فى عام ١٨١٢ كانت موسكو أيضاً تحترق . يا إلهى لقد أخذ الفرنسيون على غرة .

أوجا : اذهب . اذهب .

فيرا بونت : حاضر .. يا سيدتى (يخرج)

أولجا : يا دادة العزيزة أعطهم كل شيء . نحن لا نحتاج شيئاً . أعطهم كل شيء يا دادة . أنا متعبة حتى لا تكاد رجلاى تقمانى . لا تدعى آل فيرشينين يذهبون .. البنات يستطعن النوم فى غرفة الاستقبال . أما الكسندر إيجناتيفيتش فيمكنه المبيت فى شقة البارون ، وفيدوتيك أيضاً يستطيع أن يبيت هناك أو فى غرفة الأكل ... إن الطبيب سكران الليلة ، سكران بشكل فظيع ، كأنما فعلها عمداً ، ولا أحد يستطيع أن يدنو منه . اعرضى على زوجة فيرشينين أن تبيت فى غرفة الجلوس .

أنفيسا : (متعبة) أولجا . يا بنى العزيزة ، لا تطردنى لا تطردنى !

أولجا : كلامك لا معنى له يا دادة . من ذا الذى يريد طردك ؟

أنفيسا : (تضع رأس أولجا على صدرها ..) يا فتاتى العزيزة ، يا كنزى ! أنا أعمل وأكافح وتتقدم بى السن .. إننى أضعف فى كل يوم ، ولن يلبثوا أن يقولوا بى : اخرجى ! وإلى أين أخرج ؟

أين ، أين ؟ إننى فى الثمانين . بل فى الواحد
والثمانين .

أولجا : اجلسى يا دادة العزيزة . أنت متعبة يا مسكينة
(تحملها على الجلوس) استريحى استريحى .
أنت شاحبة جداً !

(تدخل ناتاشا)

ناتاشا : يقول الناس لا بد من تكوين لجنة على الفور
لمساعدة ضحايا الحريق . ما رأيك فى هذه
الفكرة ؟ إنها فكرة بديعة . بالطبع يجب مساعدة
الفقراء . هذا واجب الأغنياء . إن بونى والصغيرة
صوفى نائمان .. نائمان ، كأن شيئاً لم يحدث .
بالبيت كثير من الناس ، حتى لقد امتلأ بهم
المكان . تجدينهم أينما ذهبت . البلدة مصابة
بالأنفلونزا الآن ، وأخشى أن تصيب الأولاد :
أولجا : (غير مصغية إليها) من هذه الغرفة لا نستطيع
أن نرى الحريق . إننا فى هدوء هنا . .

ناتاشا ، أجل . أعتقد أننى سيئة المظهر . (أمام المرأة)
يقولون إننى فى طريقى إلى السمنة ، وهذا غير
صحيح . غير صحيح قطعاً . ماشا نائمة .
المسكينة مجهدة تماماً (فى برود ، موجهة
كلامها لأنفيسا) لا تجسرى على الجلوس فى

حضرتى ! قولى اخرجى .. (تخرج أنفيسا .
صمت) لا أفهم ما الذى يدعوك إلى الإبقاء
على هذه العجوز !

أولجا : (فى ارتباك) معذرة .. ولا أنا أفهم .

ناتاشا : لا فائدة منها هنا . إنها من الريف ، ويجب أن
تعيش هناك ... أنتم تفسدوننا ! أنا أحب
النظام فى البيت ! لا نريد هنا أناساً لا نحتاجهم
(تربت على بخدها) أنت متعبة يا مسكينة .
إن ناظرتنا متعبة ، وحينما تكبر الصغيرة صوفى
وتذهب إلى المدرسة سأخشى عليها منك كثيراً .

أولجا : لن أصبح ناظرة .

ناتاشا : سيعينونك ناظرة يا أولجا . تقرر ذلك .

أولجا : سأرفض المنصب . لا أستطيع احتماله . لست
أقوى عليه (تشرب ماء) لقد عاملت دادة
بفظاظة كبيرة منذ قليل . أنا آسفة . لا أستطيع
تحمل كل هذا . كل شىء قائم فى عيني .

ناتاشا : (فى اضطراب) سامحيني ، يا أولجا ، سامحيني .
لم أقصد مضايقتك .

(تصحو ماشا وتأخذ معها وسادة وتخرج مغضبة)

أولجا : اذكرى هذا يا عزيزتى : ربما نكون قد ربينا
بطريقة غير مألوفة ، ولكننى لا أستطيع تحمل

هذا . مثل هذا السلوك ضارٌ بي . إنه يمرضني .
أفقد معه شجاعتي .

ناتاشا : سامحيني . سامحيني « تقبلها »

أولجا : إن أقل بادرة فظاظة ، أهون مظهر لقلّة
الأدب يثير نفسي .

ناتاشا : غالباً ما أكثر من الكلام . هذا صحيح .
ولكن ألا تظنين أنه من الأنسب لها أن تعيش
في الريف فعلاً ؟

أولجا : إنها معنا منذ ثلاثين سنة .

ناتاشا : ولكنها لا تستطيع العمل الآن . إما أنني لا أفهم ،
أو أنك لا تودين أن تفهميني . إنها لا تصلح
للعمل . كل ما تستطيعه هو أن تنام أو تجلس .
أولجا : فلتجلس ما شاءت !

ناتاشا : (مندهشة) ماذا تعنين ؟ إنها مجرد خادمة .
(تبكي) أنا لا أفهمك ، يا أولجا . عندي دادة
ومرضعة ، وطباخ ، وخادم .. فقيم نحتاج
هذه المرأة بعد هذا ؟ ما فائدتها ؟

(يسمع صوت صفارة الحريق خلف المسرح)

أولجا : كبرت عشر سنوات هذه الليلة .

ناتاشا : يجب أن نتفق على نظام ما يا أولجا . مكانك
في المدرسة ، ومكاني في البيت . خصصني

نفسك للتدريس ودعى شئون البيت لى . لانى
حينما أتحدث عن الخدم فإنما أعلم ما أقول ،
أعرف ما أقول تماماً .. غداً نتهى من هذه
اللصة العجوز ، هذه الكركوبة .. (تدق
الأرض بقدمها) هذه الساحرة الشريرة !
ولياك أن تجسرى على مضايقتى ! لياك !
(تصمت فجأة) إذا لم تنتقل إلى الطابق السفلى
فستشاجر دائماً . حاجة تفلق !

(يدخل كوليجين) .

كوليجين : أين ماشا ؟ آن أن ننصرف . يبدو أن النار
بدأت تتمد (يتمطى) عمارة واحدة فقط
احترقت ، ولكن الريح كانت شديدة ، حتى
خفنا أن تحترق البلدة كلها . (يجلس) أنا
مجهد . عزيزتى أولجا : كثيراً ما قلت لنفسى :
لو أننى لم ألق ماشا لتزوجتك أنت . أنت
لطيفة جداً . لقد استبدت بى التعب (يتسمع)

أولجا : ماذا ؟

كوليجين : الطبيب طبعاً . لقد شرب كثيراً الليلة . بشكل
مريع . يبدو أنه فعلها عمداً ! (ينهض) الظاهر
أنه قادم هنا . هل تسمعيه ؟ أجل إلى هنا ..
(يضحك) ياله من رجل ! .. اسمعوا :

سأختبي (يذهب إلى الصوان ويقف في الركن)
يا له من وغد !

أولجا : إنه لم يتناول قطرة واحدة من الشراب منذ عامين
وفجأة يذهب فيسكر .

(تتجه مع ناتاشا إلى خلف الحجرة . يدخل
تشيبوتيكين . إنه في الظاهر غير ثمل . يقف
وينظر حواليه ثم يذهب إلى حوض الغسيل
ويأخذ يغسل يديه)

تشيبوتيكين : (في غضب) ليذهبوا جميعاً إلى الشيطان ..
جميعاً ، يظنون أنني طيب ، وأنى أستطيع
علاج الأمراض كلها . وأنا لا أعرف شيئاً على
الإطلاق . نسيت كل ما تعلمت . لا أذكر
شيئاً بالمرة ، (تخرج أولجا وناتاشا دون أن يلحظ)
اللجنة على المسألة كلها . يوم الأربعاء الماضي
ذهبت أعود امرأة في زاسيب فلم تلبث أن
ماتت ، وكان الخطأ خطئى . أجل ، منذ
خمس وعشرين سنة كنت أملك قدراً من
العلم ، ولكنى لا أذكر شيئاً منه الآن . لا شئ .
لعلنى لست إنساناً على الإطلاق ، وإنما
أتظاهر بأن لى ذراعين وساقين ورأساً .. لعلنى
لست موجوداً أصلاً ، وإنما أتوهم أنني أمشي

وآكل وأنام . (ييكى) آه ، لو أنه لم يكن لى
وجود .. ! (يكف عن البكاء ويقول فى
غضب) من يدرى .. أول من أمس كانوا
يتحدثون فى النادى ... ذكروا اسمى شكسبير
وفولتير . لم أقرأ شيئاً لها ومع هذا تظاهرت
بأننى قرأت . وكذلك فعل الباقون . يا للانحطاط .
يا للصغار . ثم ذكرت المرأة التى قتلها يوم
الأربعاء ... ولم أستطع أن أبعدھا عن ذهنى ،
وتحول كل شىء فى عقلى حتى أصبح ملتوياً ،
قيحاً ، تعساً ... وهكذا ذهبت وسكرت ..
(تدخل إيرينا وفيرشينين وتيوزينباخ . الأخير
يلبس ملابس مدنية جديدة ، ومن آخر
طراز) .

إيرينا : لنجلس هنا . لن يأتى إلى هنا أحد .
تشيبيوتيكين : أوشكت البلدة كلها أن تذمر لولا جنود الجيش .
رجال أكفاء . (يفرك يديه فى تقدير) أناس
رائعون ! أوه ، يا لهم من جماعة رائعة !
كوليچين : (يقترب منه) كم الساعة ؟
تيوزينباخ : بعد الثالثة الآن . الفجر يطلع .
إيرينا : إنهم جميعاً فى غرفة الأكل . لن يذهب منهم
أحد . وصديقك سولينى بينهم ..

(لتشيبوتيكيين) أما كان الأفضل لك أن

تنام ، يا دكتور ؟

تشيبوتيكيين : نعم .. شكراً لك (يمشط لحيته)

كولييجين : (يضحك) الكلام صعب عليك شيئاً ما ،

يا إيفان رومانوفيتش . هيه ؟ (يربت على

كتفيه) رجل طيب . In vino veritas

. في الخمر الحقيقة ، كما يقول الأقدمون .

تيوزينباخ : إنهم يلحون علىّ في أن أقيم حفلة موسيقية

مساعدة للضحايا .

إيرينا : كأن باستطاعة الواحد أن يفعل شيئاً .

تيوزينباخ : من الممكن تدبيرها ، لو كان هذا ضرورياً .

في رأي أن ماريا سيرجيفينا عازفة بيانو ممتازة .

كولييجين : أجل ممتازة !

إيرينا : لقد نسيت العزف تماماً . لم تعزف من ثلاث

سنين أو أربع .

تيوزينباخ : في هذه البلدة لا أحد يفهم الموسيقى — ما من

فرد واحد . ولكنني أنا أفهمها وأنا أوكد لك

بشرفي أن ماريا سيرجيفينا عزفها ممتاز ، وأنه

يقرب أن يكون عبقرياً .

كولييجين : أنت على صواب يا بارون . أنا مفتون بماشا .

إنها بالغة الروعة .

تيوزينباخ : ما أمر أن يعزف المرء بكل هذه المهارة ، ثم يتبين في الوقت نفسه أن أحداً لا يفهمه !

كوليجين : (يتنهد) أجل .. ولكن ، هل من اللائق لها أن تساهم في الحفلة ؟ (صمت) أنا لا أفهم في هذه المسائل ، ولعله أن يكون في اشتراكها الخير . ومع أن مديرنا رجل طيب العنصر ، طيب العنصر جداً ، وكفو جداً ، إلا أن له آراء معينة .. بالطبع هذا شأنه ، ولكن إذا أردت لماشا أن تشترك في الحفلة ، فأولى بي أن أكلمه في الموضوع .

(تشيبيوتيكين يتناول ساعة من الصيني ويفحصها) .
فيرشينين : قد نالني من أوساخ الحريق ما جعلني أبدو في غير مظهر الأخياء (صمت) بالأمس سمعت عَرَضاً أن لواءنا يراد له أن ينقل إلى مكان بعيد . قال البعض : بولندا ، وقال آخرون : تشيتا .

تيوزينباخ : هذا ما سمعته أنا أيضاً . إذا أصبح هذا فستصبح البلدة خلاء .

إيرينا : وسنرخل نحن أيضاً !
تشيبيوتيكين : (تسقط منه الساعة وتتناثر قطعاً) قطعاً .. قطعاً .

(صمت . الكل متألم ومضطرب) .

كوليجين : (يجمع القطع) كيف طاوعك قلبك على أن
تحطم هذه القطعة الثمينة أوه ، إيفان رومانوفيتش ،
إيفان رومانوفيتش ، صفر في السلوك !

إيرينا : هذه الساعة كانت لأمنا .

تشيبوتيكين : ربما . ساعة أمك .. ساعة أمك .. ربما لم
أكسرها ، ربما بدا فقط كأنني كسرتها . ربما
نظن أننا موجودون ، في حين أن الواقع أنه
لا وجود لنا . لا أدري شيئاً ، ولا أحد يدري .
(بالباب) أى شيء تنظرون ! ناتاشا تمثل
قصة غرام صغير مع بروتوبوبوف وأنتم
لا تدرون ... تجلسون هنا ولا ترون شيئاً ،
في حين أن ناتاشا تمثل قصة غرام صغيرة مع
بروتوبوبوف ... (يغنى) « ألا تقبلين منى
هذا البلح » (يخرج) .

فيرشينين : أجل . (يضحك) ما أغرب الأشياء جميعاً !

(صمت) حينما اندلع الحريق ، هرولت إلى
المنزل ، فلما وصلت إليه وجدته سليماً لم يمس .
ولا يهدده أى خطر . ولكن بنتى كانتا واقفتين
بالباب لا يسترهما إلا الملابس الداخلية
فقط . لم تكن أمهما موجودة وكان الجمهور

مضطرباً ، والنحيول والكلاب تجرى هنا وهناك ،
ووجها الفتاتين تتنازعها عوامل الإثارة والفرع
والتوسل ، وما لا أدري من عواطف أخرى .
حز الألم في قلبي حينما شاهدت هذين الوجهين .
يا إلهي ، لقد جعلت أفكر فيما ستحملة الفتاتان
من آلام لو قدر لهما أن تعيشا طويلا ! أمسكت
بهما وجريت ، وظل خاطر واحد يحتل رأسي :
آلام الحياة التي ستواجه الفتاتين لو قدر لهما
أن تعيشا ! (صفارة الحريق . صمت) وجئت
إلى هنا فوجدت أمهما غاضبة (تدخل
ماشيا ومعها وسادة وتجلس على الأريكة) وحينما
كانت بنتاي واقفتين بالباب بملابسهما الداخلية
فقط ، وكان الشارع يتوهج بالنيران ، كانت
ثمة ضوضاء رهيبية ، فقلت لنفسي ما أشبه هذا
بما كان يحدث قديماً حينما كان العدو يغير
فجأة على البلاد فينهب ويحرق . ولكن ما أبعد
الفرق بين الحاضر والماضي ! وحينما يتقدم
بنا الزمن شيئاً ما ، في مائتين أو ثلاثمائة عام
ربما ، سينظر الناس إلى حياتنا الحاضرة بهذا
الخوف نفسه ، وهذا الاحتقار عينه ، وسيبدو
لهم الماضي كله ثقیل الوضع غريباً ، غريباً ،

أبعد ما يكون عن توفير الراحة للناس . حقاً ،
ما أروع ما سيكون لنا من حياة ، ما أروعها !
(يضحك) اعذروني ، فقد عدت إلى حديث
الفلسفة . دعوني أواصل الحديث من فضلكم
فإن بي شوقاً إلى أن أتفلسف . هذا ما أحس به
في التو واللحظة . (صمت كأنما الكل
نيام) . كنت أقول : يا لروعة ما سوف يكون
لنا من حياة ! ما عليكن إلا أن تتخيلن ..
في البلدة الآن ثلاثاً مثلكن . ولكن الأجيال
القادمة ستشهد مزيداً بعد مزيد ، وسيأتي
وقت يتغير فيه كل شيء ويصبح الناس فيه
على خير ما تردن .. يعيشون كما تعيشون ، ثم
يتعداكن التطور أنتن أيضاً ، ويولد أناس
هم أفضل منكن .. (يضحك) أجل اليوم
أنا مهياً بصفة خاصة لهذا التفاؤل .. لأنني
أحب الحياة حباً وحشياً .

(يغنى) « قوة الحب تعرفها كل الأجيال .

من قبضتها يخرج كل طيب وعظيم »

(يضحك) .

ماشا : تم تم تم .

فيرشبينين : تم تم

- ماشيا : ترا .. رارا .
- فيرشينين : ترا تاتا . (يضحك)
- (يدخل فيدوتيك) .
- فيدوتيك : (راقصاً) احترق ما أملك . احترق ما أملك .
- أصبحت على الأرض .. (ضحك) .
- إيرينا : لا أرى ما يضحك في هذا . هل احترق كل شيء ؟
- فيدوتيك : (يضحك) تماماً . لم يبق شيء مطلقاً . احترق الجيتار والصور كلها وجميع رسائلتي .. وكنت اشتريت لك هدية : دفتر مذكرات .. وهذا أيضاً احترق . (يدخل سولينى) .
- إيرينا : لا تدخل يا فاسيلى فاسيليفيتش . اذهب من فضلك .
- سولينى : كيف يسمح للبارون بالدخول ، ولا يسمح لى أنا ؟
- فيرشينين : أظن أن الوقت حان للإنصراف . ما أخبار الحريق ؟
- سولينى : يقولون : إنه بدأ يحمى . لا . أنا لا أرى لماذا يسمح للبارون ولا يسمح لى . (يضحك يديه بالعطر) .
- فيرشينين : ترم ترم ترم .
- ماشيا : ترم .. ترم .

فيرشينين : (يضحك . لسولينى) لنذهب إلى غرفة الأكل .
سولينى : حسن جداً . سأخذ مذكرة . « لو حاولت
أن أوضح الأمر لغضبت منى الإوز على
الفور^(١) . (ينظر لتيوزينباخ) هكذا . هكذا
هكذا .

(يخرج مع فيرشينين وفيدوتيك)
إيرينا : شدة ما فاحت رائحة الطباقي من سولينى ..
(فى دهشة) البارون نام . يا بارون !
يا بارون !

تيوزينباخ : (يصحو) أنا متعب حقاً . معاملى الطوب ..
لا .. أنا لا أهرق . أعنى ما أقول . سأبدأ
العمل قريباً فى معاملى الطوب . لقد تحدثت
بشأنها فعلاً . (برفق لإيرينا) أنت شاحبة
وجميلة وساحرة .. شحوبك يتألق خلال
الظلام كأنه النور .. أنت حزينة ، ساخطة
على الحياة . أوه .. تعالى معى ولنعمل معاً !
ماشيا : نيكولاى لفوفيتش ، اذهب من هنا .

تيوزينباخ : (يضحك) أنت هنا ؟ لم أرك . (يقبل يد
إيرينا) مع السلامة ، إنى ذاهب ، أنظر
إليك الآن ، وأذكر ، كما لو كان ماضياً

(١) يشير إلى حدوتة : « الإوز » للكاتب كريلوف .

بعيداً ، يوم عيدك حينما جعلت تتحدثين
في ترحيب ومرح عن مباحج العمل .. كم
كانت الحياة سعيدة في نظري إذ ذاك !
ماذا جرى لها الآن (يقبل يدها) . ثمة دموع
في عينيك . اذهبي إلى فراشك الآن ! إن النهار
قد طلع . والصبح قد جاء ... لو كان في مكنتي
أن أبذل حياتي فداء لك !

ماشا : نيكولاى لفوفيتش . اذهب ! ما شأنك ! ..

تيوزينباخ : إني ذاهب (يخرج) .

ماشا : (تترقد) أنت نائم يا فيودور ؟

كوليجين : هيه ؟

ماشا : أليس ينبغي أن تعود إلى البيت ؟

كوليجين : يا عزيزتى ماشا ، يا حبيبتي ماشا .

إيرينا : إنها متعبة تماماً . فدعها تسترح يا فيديا .

كوليجين : سأذهب فوراً . زوجتى طيبة رائعة . أحبك

يا وحيدتى .

ماشا : (في غضب) amo, amas, amat, amamus,

(١) amatis, amant

كوليجين : (يضحك) لا . إنها رائعة حقاً . لقد تزوجتك

من سبع سنوات ، ولكن يبدو لي أنني تزوجتك

(١) تصريف فعل « أحب » في اللاتينية .

بالأمس فقط . بشرفي ، أنت امرأة عجيبة
حقاً . أنا راض بك . راض . راض !

ماشا : وأنا ضجرة . ضجرة . ضجرة . (تستوى جالسة)
ولكني لا أستطيع أن أتخلص مما أفكر فيه .
إنه شيء مخجل يثير في نفسي القلق ، ولا
أستطيع السكوت عليه ، أعني ما فعله أندريه .
لقد رهن هذا البيت في البنك ، وأعطى المال
لزوجته . ولكن المنزل لنا نحن الأربعة وليس له
هو فقط ! كان أجدر به أن يتبين هذا لو
أنه رجل شريف حقاً .

كوليچين : وما الفائدة ، يا ماشا ؟ إنه مدين لدى كل
الجهات . دعيه يفعل ما يحلو له .

ماشا : هو تصرف مخجل على كل حال . (ترقد)

كوليچين : لا أنا فقير ولا أنت . أنا أعمل في المدرسة
وأعطى دروساً خصوصية . إنني شخص بسيط
شريف . أحمل معي كل ما لدى كما يقولون
Omnia mea mecum porto.

ماشا : لا أريد شيئاً . ولكن الظلم يثير تقززى (صمت)
اذهب أنت يا فيودور .

كوليچين : (يقبلها) أنت متعبة . استريحى نصف ساعة ،
وسأجلس بانتظارك . نامى .. (ذاهباً) أنا
راض . راض . راض . (يخرج) .

إيرينا : نعم . صحيح . إن أندريه قد غدا قميئاً . شدة

ما أطفأت نوره وأهرمته هذه المرأة . كانت

أمنيته أن يصبح أستاذاً . وأمس جعل يفخر

بأنه أخيراً قد عين عضواً في مجلس الحى . هو

عضو ، وبرتوبوبوف رئيس . البلدة كلها

تتحدث في هذا الموضوع وتضحك ، وهو

وحده لا يرى شيئاً ... والآن ذهب الجميع

ليشهدوا الحريق . وهو وحده لزم غرفته ولم

يأبه لشيء . كل ما يفعله أن يعزف على القيثارة

(بعصبية) أوه . إنه فظيع . فظيع . فظيع .

(تبكى) لم أعد أستطيع ، لم أعد أستطيع أن

أتحمل أكثر من هذا . لا أستطيع .. لا أستطيع .

(تدخل أولجا وترتب الأشياء على مائدتها

الصغيرة . إيرينا تشهق في صوت مسموع)

اطردوني . اطرّدوني ، فلم أعد أستطيع الاحتمال .

أولجا : (فزعة) ماذا جرى ؟ ماذا جرى يا عزيزتى ؟ !

إيرينا : (تشهق بالبكاء) أين ؟ أين ذهبت الأشياء ؟

أين ما كان لنا ؟ أوه ، يا إلهى ، يا إلهى !

نسيت كل شيء .. كل شيء .. لست أذكر

كلمة شباك بالإيطالية أو حتى كلمة سقف ...

أصبحت أنسى كل شيء ، كل يوم أنسى ،

والعمر عمرٌ ولن يعود ، ولن نذهب أبداً إلى
موسكو . أتبين الآن أنني لن أذهب .

أولجا : هدئي روعك يا عزيزتي ... هدئي روعك .

إيرينا : (تضبط نفسها) أوه إني تعسة .. لا أستطيع

العمل ، ولن أعمل . كفى ، كفى ! كنت

عاملة تلغراف ، والآن أعمل في مكاتب

المجلس ، وليس في قلبي سوى المقت والاحتقار

لما يعطونني من عمل هناك . وأنا الآن في الثالثة

والعشرين ، وقد مرّ بي وقت طويل وأنا أعمل ..

وها هو ذا عقلي قد تبدد ، ونحل جسمي

وأصبحت أقلّ جمالا وأكبر سنا . وليس

لأزمتي من انفراج ، والوقت يمر فكأنني أنحسر

من الحياة الجميلة الواقعة ، وأتراجع رويداً

رويداً منحدره عبر هوة سحيقة . إنني يا ثسة

ولست أدري كيف لا زلت أحياء ، وكيف

لم أنتحر حتى الآن .

أولجا : لا تبكي يا فتاتي العزيزة ، لا تبكي . أنا أيضاً

أتعذب .

إيرينا : أنا لا أبكي . لا أبكي . كفى انظري . لم أعد

أبكي . كفى . كفى .

أولجا : عزيزتي . إني لأنصح لك كشقيقة وصديقة .

تزوجى البارون (إيرينا تبكى فى خفوت)
أنت تحترمينه ، وتقديرته كل التقدير ...
صحيح إنه ليس وسياً ، ولكنه شريف
ونظيف . الناس لا يتزوجون بدافع الحب ،
ولكن أداء لواجبهم . هذا اعتقادى على كل
حال . وأنا على استعداد لأن أتزوج دون حب .
مهما يكن من يتقدم لى فسأتزوجه ، ما دام
مهدباً . حتى ولو كان عجوزاً .

إيرينا : ظلت أنتظر حتى ستقر فى موسكو ، وأمّلت
أن أجد هناك حبيبى المخلص . طالما فكرت
فيه وأحببته .. ولكن الأمر كله أصبح هراء ..
هراء كله .

أولجا : (تعانق أختها) يا أختى العزيزة . الجميلة .
أنا أفهم كل شيء . حينما ترك بارون نيكولاى
لفوفيتش الجيش وجاءنا فى رداء السهرة^(١)
كان منظره قبيحاً حتى لقد أخذت أبكى .
سألنى : لم تبكين ؟ « فكيف كنت أستطيع
أن أجيب ! ولكن إذا كان الله قد ساقه
ليتزوجك فهذا يسعدنى . هذا شيء آخر .
يختلف تماماً .

(١) الرداء المناسب عند التقدم لخطبة فتاة .

(تجتاز ناتاشا المسرح من اليمين إلى الشمال
ومعها شمعة دون أن تقول شيئاً) :

ماشيا : (تستوى جالسة) إنها تسير كمن أضرم النار
في شيء .

أولجيا : ماشيا . أنت حمقاء . أنت أحرق من في
الأسرة . أعذريني لقولي هذا . (صمت)

ماشيا : أريد أن أعترف لكما بشيء يا شقيقتي العزيزتين .

إن روحي تتعذب .. سأعترف لكما . ولن
أعترف بعد لأحد غيركما . سأقول لكما حالا .

(في خفوت) إنه سرّي الخاص ، ولكن يجب

أن تعرفا كل شيء . لا أستطيع الصمت

(صمت) أحب . أحب .. أحب ذلك الرجل .

قد رأيته منذ لحظات . لم لا أقولها صريحة ..

باختصار . أحب فيرشينين .

أولجيا : (تخفي وراء ستارها) اسكتي !.. أنا لا أسمعك

على أية حال .

ماشيا : ماذا في وسعي أن أفعل (تأخذ رأسها بين

يديها) في البداية بدا لي غريب الأطوار ،

ثم أخذت أرثي له ، ثم وقعت في غرامه . أحببت

صوته وكلماته ، ومصائبه وبنثيه .

أولجيا : (يخلف الستارة) أنا غير منصتة . تكلمي

ما شئت من هراء ، فسيستوي كل شيء لدى .
فلن أسمع .

ماشأ : آه يا أولجا . أنت حمقاء . إنني أحب ، ومعنى
هذا أن الحب قد أصبح مصيري ، معناه أنه
أصبح ... قسمتي . وهو يحبني . يا له من
أمر فظيع . أجل إن الأمر كله لا يليق . أليس
كذلك ؟ (تأخذ يد إيرينا وتقرّبها منها) آه ،
يا عزيزتي . كيف يتسنى لنا أن نعيش ما بقي
من العمر ، وماذا يكون من أمرنا ... حينما
يقرأ المرء رواية ، تبدو له الأشياء مألوفة سهلة ،
ولكنه عندما يعاني الهوى بالفعل يتبين أن أحداً
لا يستطيع أن يدله ، وأن عليه أن يواجه الأمور
بنفسه . يا عزيزتي ، يا شقيقي . قد اعترفت
لكما ، والآن أستطيع أن أصمت ، كأولئك
المجانين في قصة جوجول : سألتزم الصمت ..
الصمت .

(يدخل أندريه ، يتبعه فرابوننت) .

أندريه : (مغضباً) ماذا تريد ؟ لا أفهم .

فرابوننت : (بالباب ، في نفاد صبر) قلت لك ما أريد .

عشر مرات حتى الآن يا أندريه سيرجيفيتش .

أندريه : أولاً . أنا لست أندريه سيرجيفيتش . أنا السيد .

فيرابونت : رجال المطافئ أيها السيد يطلبون الإذن باختراق
حديقتك ليصلوا إلى النهر بدلا من الدوران في
كل مرة ، إنه أمر يضايق .

أندريه : وهو كذلك . قل لهم إنني أسمع (يخرج
فيرابونت) لقد أضجروني . أين أولجا ؟
(أولجا تخرج من وراء الستار) جئت أطلب
مفتاح الصوان . لقد فقدت مفتاحي . لديك
مفتاح صغير .. (تعطيه المفتاح . لايرينا
تختفي وراء الستارة . صمت) يا له من حريق
هائل . إنه الآن قد أخذ نحمد . يا للجنة ! لقد
أغضبنى هذا الفيرابونت حتى جعلني أقول : سخييف
الكلام ... أيها السيد ، حقا .. (صمت)
لماذا أنت صامته هكذا يا أولجا ؟ (صمت)
حان الوقت كي تتخلصي من السخافات
وتتصرفي كما لو كنت حية بين الأحياء . أنت
هنا يا ماشا . ولايرينا أيضاً . حسناً إذن .
ما دمنا هنا كلنا فلنصل إلى اتفاق تام نهائياً .
ماذا يغضبكن مني ؟ ماذا ؟

أولجا : كُفَّ من فضلك يا أندريه .. سنتحدث في
هذا غداً (مهتاجة) يا لها من ليلة مريعة !

أندريه : (مرتبكاً جداً) لا تثيري نفسك . أنا أسألك

وأنا في تمام الهدوء . ماذا يغضبك مني ؟
قولي لي حالا .

(صوت) فيرشينين ترم .. تم تم .
ماشا : (تقف . بصوت عال) ترا تاتا (لأولجا) وداعاً
يا أولجا وليرعك الله . (تختفي وراء الستار
وتقبل إيرينا) طاب نومك . طاب وقتك
يا أندريه . اذهب الآن ، فإنهما متعبتان ...
إشرح لهما غداً ...

(تخرج)

أندريه : سأقول شيئاً . وأنصرف .. فوراً . أولاً ، أنما
غاضبتان على ناتاشا زوجتي لأمر ما .
لاحظت هذا من أول يوم لزوجنا . مع أن
ناتاشا امرأة جميلة ونزيهة وصريحة وشريفة —
هذا رأيي . إنني أحب زوجتي وأحترمها ،
إفهمن هذا ، إنني أحترمها وأصرُّ على أن
يحترمها الآخرون كذلك . أكرر أنها امرأة
نزيهة وشريفة وكل انتقاد منكن لها هو ببساطة.
سخيف .. (صمت) ثانياً يبدو لي أنك
غاضبات لأنني لست أستاذاً في الجامعة ،
وأنني لا أشتغل بالبحث . ولكنني أشتغل في
المجلس الاقتصادي المحلي ، وأنا أيضاً عضو في

مجلس الناحية . وأعتبر أن لعملى فى الناحيتين
القيمة والسمو نفسيهما اللذين تضيفهما خدمة
العلم . أنا عضو فى مجلس الناحية ، وأحب أن
تعلمن أنى فخور بهذه العضوية (صمت)
ثالثاً .. هناك شىء آخر وددت أن أحدثكن
فيه . لقد رهنت المنزل دون إذن منكن .. وأنا
فى هذا مخطئ وأرجو أن تسامحنى . لقد جرتنى
إلى هذا الخطأ الديون . على خمسة وثلاثون ألف
روبل . أنا لا ألعب الورق الآن .. هجرته منذ
زمن طويل ولكن أهم ما يشفع لى عند نفسى
هنا : هو أنكن تستندن إلى معاش ، فى حين
أنه لا معاش لى . إن مرتبى هو ...

كولييجين : (بالباب) هل ماشا هنا ؟ (فى اضطراب)
أين ذهبت ؟ هذا غريب . (يخرج) .

أندريه : هن لا يسمعن . ناتاشا امرأة رائعة شريفة .

(يتمشى فى أرجاء المكان فى صمت ثم يقف)
حين تزوجت ظننت أننا سنكون سعداء كلنا ..
ولكن يا إلهى (يبكى) يا عزيزاتى ، يا شقيقتائى
العزيزات لا تصدقنى ، لا تصدقنى (يخرج) .
(صفارة الحريق . المسرح خال)

إيرينا : (خلف الستارة) أوجا ، من يدق الأرض ؟

أولجا : دكتور إيفان رومانوفيتش . إنه ظمآن للشراب .

إيرينا : يا لها من ليلة قلقة . (صمت) أولجا (تطل

من وراء الستار) هل سمعت ؟ إنهم سيأخذون

منا لواء الجيش . سينقلونه إلى مكان بعيد .

أولجا : مجرد إشاعة .

إيرينا : وإذن فسنترك وحدنا .. يا أولجا .

أولجا : ثم ماذا ؟

إيرينا : يا أختي العزيزة الحبيبة ، إنني أقدر ، أننى

أعلى قدر البارون . إنه رجل رائع .

سأتزوجه . سأرضى بزواجه حتى أذهب إلى

موسكو . أتوسل إليك أن نذهب . ليس هناك

ما هو خير من موسكو على وجه الأرض !

نذهب يا أولجا ، لنذهب !

« ستار »

الفصل الرابع

(الحديقة العتيقة في منزل آل بروسوروف .. ممر طويل يحف به صف من شجر الشربين . في نهايته النهر .. في الناحية البعيدة للنهر غابة ، إلى اليمين شرفة المنزل . على مائدة في الشرفة زجاجات وأوانٍ للشراب .. واضح أن قدراً كبيراً من الشمبانيا قد استهلك للتو . الوقت ظهراً . بين الحين والحين يجتاز المارة الحديقة من الطريق إلى النهر . ينطلق خمسة من الجنود مسرعين عبر الحديقة . يرى تشيبيوتيكين جالسا في مقعد وثير ، وعليه علامات الارتياح . ويظل في سعادته هذه حتى نهاية الفصل وهو ينتظر أحداً يدعو ، ويلبس قلنسوة مرتفعة في أحد أجزائها ويحمل عصا . إيرينا ومعها كل من كوليجين ، لابساً صليباً يتدلى من رقبتة ، وقد حلق شاربه ، وتيوزينباخ ، واقفون في الشرفة يودعون فيدوتيك ورود ، وهما يسبيل النزول إلى الحديقة . كلا الضابطين في رداء الخدمة الرسمي)

تيوزينباخ : (يتبادل القبل مع فيدوتيك) أنت رجل طيب .
قد كنا على أتم وفاق معك . (يتبادل القبل

مع رود) مرة أخرى . مع السلامة ، أيها الرجل
الكريم .

إيرينا : إلى اللقاء !

فيودتيك : ليس إلى اللقاء . بل وداعاً . لن نلتقى مرة
أخرى !

كوليچين : من يدري ! (يمسح عينيه ويبتسم) هأنذا قد
بدأت البكاء !

إيرينا : سنلتقى ثانية ، ذات يوم .

فيودتيك : بعد عشر سنوات ، أو خمس عشرة سنة ؟ لن

يعرف أحدنا الآخر إذ ذاك . سنقول : « كيف

حالك ؟ » في برود ... (يلتقط صورة)

لا تتحركوا . مرة أخرى ، للمرة الأخيرة .

رود : (يعانق تيوزينباخ) لن نلتقى ثانية (يقبل يد

إيرينا) شكراً لكل ما بذلتيه لنا .. شكراً لكل

ما بذلتيه !

فيودتيك : (في أسى) لا تتعجل الرحيل هكذا !

تيوزينباخ : سنقابل بمشيئة الله : اكتب لنا .. ضروري .

رود : (ينظر حوالبه في الحديقة) وداعاً أيها الأشجار .

(يصيح) يوهو ! (صمت) وداعاً أيها

الصدى !

كوليچين : أطيب الأمناني لكما . تزوجا في بولندا .

ستأخذك زوجتك البولندية بين ذراعيها وتقول
لك : « كوتشانكو » أى يا حبيبي ... !
(يضحك)

فيدوتيك : (ينظر فى ساعته) بقى أقل من ساعة .
سولينى هو الوحيد بين أفراد بطاريتنا الذى
يسافر بالمركب ، أما الباقون فيذهبون مع الجزء
الرئيسى للواء . اليوم تسافر ثلاث بطاريات ،
ومثلها غداً ، ثم تصبح البلدة هادئة مطمئنة .

تيوزينباخ : وممة إلى حد مريع .

رود : وأين ماريا سيرجيفنا ؟

كوليجين : ماشا فى الحديقة .

فيدوتيك : نحب أن نودعها .

رود : طاب وقتكم .. لا بد أن أذهب . وإلا فساخذ

فى البكاء (يعانق كوليجين وتيوزينباخ بسرعة
ويقبل يد إيرينا) كنا سعداء هنا .

فيدوتيك : (لكوليجين) خذ هذا التذكار منى . دفتر

مذكرات وقلم ... سنذهب إلى النهر من هنا...
(ينتحيان جانباً ويلتفتان حوالهما)

رود : (يهتف) يوهو .

كوليجين : (يهتف) وداعاً :

(فى خلفية المسرح يتقابل فيودتيك ورود مع

ماشأ يودعأنا وئخرجأن معاً)

إيرينا : : ذهبا .

(آجلس على آخر درجة من درآ الشرفة) .

تشيبوتيكين : نسيا أن يودعأني .

إيرينا : : ولم ؟

تشيبوتيكين : لا أدرى كيف ، ولكننى أنا نفسى نسيتهما .

على كل حال سأراهما ثانية قريباً . إننى راحل

غداً . أجل ، بقى يوم واحد فقط . سأحال إلى

المعاش فى العام القادم ، وسأعود إلى هذا

المكان ، وأختم حياتى قريبكم . أمانى عام واحد

قبل المعاش ... (يضع صحيفة فى جيبه .

ويخرج أخرى) سأبى هنا وسأغير حياتى

تغيراً كلياً . سأكون هادئاً جداً ، مريحاً محترماً .

إيرينا : : أجل من واجبك أن تغير حياتك أياها العزيز .

بطريقة أو بأخرى .

تشيبوتيكين : أجل . أحس ذلك . (يغنى فى خفوت)

تارارا بوم دأى .

كوليجين : لن نصلح من شأن إيفان رومانوفيتش أبدا .

لن نستطيع إصلاحه أبدا .

تشيبوتيكين : آه . لو وضعتنى تحت رعايتك ! إذن لصلح

حالى .

إيرينا : لقد خلق فيودور شاربه ! لا أطيع النظر إليه
بعدها .

كوليجين : وما الضرر من هذا ؟
تشيبوتيكين : لو لم أخش أن أبدو سوء الأدب لقلت لك رأيي
في وجهك المنفر .

كوليجين : إنها العادة . إنها المودة *modus vivendi* .
أسلوب الحياة الجديدة . إن مديرتنا حليق اللحية
والشارب ، لهذا قررت أنا أيضاً ، حينما رقيت إلى
رتبة مفتش ، أن أخلق شاربي . لا أحد يحب
منظرى الجديد ، ولكنى لا أبالي . أنا راض
بما أفعل .. سواء أكان لى شارب أم لم يكن ..
فأنا راض .

(يجلس خلف المسرح . يدفع أندريه أمامه
عربة أطفال بها رضيع نائم) .

إيرينا : إيفان رومانوفيتش ، بالله أخبرنى فأنا قلقة
إلى حد مريع . إنك كنت خارج البيت ليلة
الأمس ، قل لى : ماذا حدث ؟

تشيبوتيكين : ماذا حدث ؟ لا شيء . مسألة تافهة تماماً (يقرأ
الصحيفة) لا أهمية لها !

كوليجين : يقال إن سولينى والبارون قد تقابلا أمس
بالطريق قرب المسرح .

تيوزينباخ : اسكت ! أى حق لك .. (يحرك يديه فى الهواء ويدخل إلى المنزل) .

كوليچين : قرب المسرح .. شرع سولينى يسىء إلى البارون ففقد هذا سيطرته على نفسه وقال له كلاماً مهيناً ...

تشيبيوتكين : لا أدرى .. المسألة كلها كلام فارغ . «فياسكو» .

كوليچين : فى أحد الفصول المدرسية كتب المدرس على مقالة لتلميذ عبارة «فياسكو» ، فلم يفهم التلميذ . ظنها كلمة لاتينية لا يعرفها (يضحك) . أمر مضحك للغاية . يقولون إن سولينى يحب إيرينا ، ويكره البارون .. وهذا أمر طبيعى ، إيرينا فتاة رقيقة . بل إنها تشبه ماشا فى أنها بنت مفكرة .. غير أنك يا إيرينا أرق منها شعوراً ولو أن شخصية ماشا هى الأخرى طيبة جداً . أنا مغرم بـ ماشا كثيراً .

(تسمع صيحات « يوهو » . خلف المسرح)

إيرينا : (ترتجف) يبدو أن كل شىء يفرغنى اليوم (صمت) لقد أعددت كل شىء ، وسأرسل حاجاتى بعد الغداء ، سأتزوج البارون غداً ، وغداً أيضاً نذهب إلى معامل الطوب ، وفى

اليوم التالى أذهب إلى المدرسة ، وتبدأ الحياة ..
الحياة الجديدة وسيعيننى الله ! حينما اجتزت
اختبار الحصول على وظيفة مدرسة ، بكيت
فرحاً وامتناناً ... (صمت) ستصل العربية فى
دقائق لتنقل حاجاتى ...

كوليجين : لأمر ما ، يبدو لى كل هذا وهماً وليس حقيقة .
كأنما هو مجرد أفكار وليس شيئاً جدياً . ومع
هذا أتمنى لك السعادة من كل قلبى .

تشيبوتيكين : (فى عاطفة عميقة) يا فتاتى الرائعة ، العزيزة ،
الغالية . لقد سبقتنى بمراحل ، فلن أستطيع
بعد أن ألحق بك . لقد تركتني وراءك طائراً
مهاجراً أصابه الكبر ، فليس يستطيع الطيران .
طبرى أنت يا عزيزتى ، وليكن الله فى
عونك ! (صمت) من المؤسف حقاً أنك
حلقت شاربك يا فيدور اليتش .

كوليجين : كفى عن هذا الهذر ! (يزفر) اليوم يرحل
الجنود ، ويعود كل شىء كما كان قبل مجيئهم .
مهما قال الناس ، فإن ماشا امرأة طيبة شريفة .
إنى أحبها كثيراً ، وأشكر الله لأنها كانت من
نصيبي . . الناس يختلفون فيما ينتهى إليهم من
حظوظ . هناك شخص يدعى كوسيريف .

يعمل في مصلحة الضرائب هنا . لقد كان زميلي في المدرسة ، ثم طرد من السنة الخامسة لأنه لم يفهم بالمرّة عبارة *ut consecutivum* اللاتينية . إنه مفلس الآن وصحته سيئة جداً . وحين أقابله أقول له : « كيف حالك يا *ut consecutivum* » فيجيب : « *ut consecutivum* تماماً .. ! » ثم يسعل . أما أنا فقد كنت ناجحاً طول حياتي . وأنا سعيد ، بل إنني الآن أحمل صليب ستانيسلاوف من الدرجة الثانية ، وأعلم الناس كيف يفهمون هذه الـ *ut consecutivum* بالطبع أنا موهوب .. أكثر موهبة من كثيرين غيري . ولكن السعادة لاتنبع من المواهب وحدها . (يسمع لحن « صلاة العذراء » يعزف على البيانو داخل المنزل)

إيرينا : في مساء الغد لن أسمع « لحن صلاة العذراء هذا » ولن أقابل بروتوبوبوف (صمت) بروتوبوبوف موجود الآن في غرفة الجلوس . لقد جاء اليوم .

كوليجين : ألم تعد الناظرة بعد ؟

إيرينا : لا ، لقد أرسلوا في طلبها . لو تدري كم هو

عسير علىّ أن أعيش وحدي ، دون أولجا ...
إنها تسكن بدار المدرسة الثانوية . هي ناظرة
المدرسة الآن وهي مشغولة بنشوتها طيلة
اليوم ، وأنا هنا وحيدة ، أشعر بالملل ، لأجد
ما أعمله ، حتى لقد كرهت الغرفة التي أعيش
فيها .. لقد عقدت العزم . ما دمت لا أستطيع
السفر إلى موسكو ، فلا مفر مما هو وشيك
الحدوث .. إنه القدر . ولا أستطيع له دفعاً .
إنها مشيئة الله ، وهذا هو الواقع . لقد تقدم
إلى نيكولاى لفوفيتش يخطبني ... فإذا كنت
فاعلة ؟ فكرت في الأمر وعقدت العزم . إنه
رجل كريم العنصر إلى حد يدعو إلى الاستغراب ..
وفجأة شعرت بروحي ينمو له جناحان .
وشملتني السعادة ، وأحسست بالنشوة في
قلبي ، وعادت إلى الرغبة في العمل ، العمل ..
ولكن شيئاً حدث لي بالأمس ، وفزعاً
غامضاً نشر ألويته على نفسي ..

تشيبوتيكين : هذا كلام فارغ .

ناتاشا : (عند النافذة) الناظرة .

كوليچين : جاءت الناظرة .. لنذهب (يدخل مع إيرينا
إلى البيت) .

تشيبوتيكين : (مغنياً) هذا يوم غسيلي .. تارا را بوم ذاي :
(تظهر ماشا وتقرب ويدفع أندريه عربة
الأطفال في خلفية المسرح)

ماشا : ها أنت ذا جالس هنا ، ولا عمل لك .

تشيبوتيكين : وما الضرر ؟

ماشا : (تجلس) . لا بأس ... (صمت) هل أحببت
أمي حقاً ؟

تشيبوتيكين : كثيراً .

ماشا : وهل كانت تحبك ؟

تشيبوتيكين : (بعد فترة) لا أذكر .

ماشا : هل رجلى هنا ؟ اعتادت طباختنا مارتا كلما
أرادت السؤال عن زوجها أن تسميه رجلى ..
هل رجلى هنا إذن .

تشيبوتيكين : لم يعد بعد .

ماشا : حينما يلتقط المرء سعادته في قطع صغيرة ،
في لقيات ، ثم يفقدها كما فعلت أنا ، يصبح
بالتدريج خشن الطبع ، ممروراً . (تشير إلى
صدرها) إنني أغلى هنا .. (تنظر إلى أندريه
وعربة الأطفال) إليك أخى ... لقد خيب
كل آمالنا فيه : ذات مرة كان هناك جرس
كبير ، اشتغل ألف نفر في إقامته ، وصرف

على صنعه مال كثير ، وجهد كبير . وفجأة
سقط الجرس وتحطم . فجأة وبلا سبب واضح .
إن مثل أندريه كمثل هذا الجرس .

أندريه : إلى متى يحدثون هذا الصوت المزعج في البيت ؟
إنه مريع .

تشيبوتيكين : سرعان ما ينتهون (ينظر إلى ساعته) ساعة من
طراز عتيق . إنها تدق . (يملأ الساعة ويجعلها
تدق) البطاريات الأولى والثانية والخامسة
ترحل في الساعة الواحدة بالضبط . (صمت)
وأنا أرحل غداً .

أندريه : نهائياً ؟

تشيبوتيكين : لا أدري .. ربما عدت بعد عام . الشيطان وحده
يعلم ... لا يهم . (يسمع صوت عزف على
الهارب والكمان) .

أندريه : ستخلو المدينة شيئاً فشيئاً . سنصبح وكأننا
وضعوا علينا ناقوساً من زجاج . (صمت)
حدث شيء بالأمس قرب المسرح ، البلدة
كلها تعرفه إلا أنا .

تشيبوتيكين : لا شيء . مسألة تافهة . جعل سولينى يضايق
البارون ، فقد هذا أعصابه وأهانته ، حتى
اضطر سولينى إلى دعوته للمبارزة (ينظر
إلى ساعته) حان وقت المبارزة فيما أظن ...

الساعة الثانية عشرة والنصف ، في الغابة العامة ..

تلك التي تراها من هنا عبر النهر ... طاخ
طوخ (يضحك) سوليني أقنع نفسه بأنه
ليرمونتوف آخر ، بل لقد أخذ يكتب الشعر .
وهذا كله جميل ، غير أنه يسرف على نفسه ؛
فهذه هي المرة الثالثة التي يتبارز فيها .

ماشيا : من ؟

تشيبوتيكين : سوليني .

ماشيا : والبارون ؟

تشيبوتيكين : ماذا عن البارون ؟ (صمت) .

ماشيا : كل شيء في رأسي مختلط . ولكني أرى وجوب
منع المباراة . ربما جرح سوليني البارون
و قتلته .

تشيبوتيكين : البارون رجل طيب بالطبع ولكن ماذا يهم
إن نقص في العالم بارون أو زاد عليه آخر ؟
أى تغيير يمكن أن يحدث في العالم ؟ الأمر في
الحالين سواء . (يهتف أحدهم من وراء
الحديقة . « هو ... يى هلالو ») انتظري .
هذا سكفورسوف يصبح . إنه يأخذ من
المرافقين في المباراة . هو يركب قارباً
(صمت) .

أندريه : فى رأي أن الاشتراك فى المبارزة أو حتى
حضورها ، ولو بوصف المرء طبيباً عمل غير
أخلاقي .

تشيبوتيكين : هذا ما يبدو لنا فقط .. نحن لا وجود لنا .
ليس على الأرض شيء . إننا لانحيا حقاً ، بل
نتوهم أننا نحيا . على كل حال ، أترى هذا
يهم أحداً ؟

ماشا . : أنت تتكلم وتتكلم طول النهار ... (ذاهبة)
نعيش فى بلد يوشك الثلج أن يسقط عليه فى
أية لحظة ، ومع ذلك تأخذ فى الثثرة . (تتوقف)
لن أدخل المنزل ، لا أستطيع . أخبرنى إذا
ما حضر فيرشينين . (تتمشى عبر طريق فى
الحديقة) الطيور المهاجرة أخذت تطير (تنظر
إلى السماء) إنها بجعات أو إوز . أيتها المخلوقات
العزيزة السعيدة (تخرج) .

أندريه : سرعان ما يخلو منزلنا من الناس . سيذهب
الضباط . ، وأنت نفسك ذاهب ، وأختى
ستزوج ، ولن يبقى بالمنزل سوى .

تشيبوتيكين : وزوجتك ؟

(يدخل فيرابونت ومعه بعض الوثائق .)

أندريه : الزوجة ليست إلا زوجة . إنها شريفة ومهذبة

لا جدال ، وعطوف ، ومع كل هذا فإن في
طبيعتها شيئاً يجعلها تنحط فتصبح حيواناً
تميئاً ، أعمى ، بل مشوهاً من بعض الوجوه .
على كل حال هي ليست رجلاً . أقول لك
هذا كصديق ، فأنت الوحيد الذى أعزى
أمامه روى . إني أحب ناتاشا . هذا صحيح .
ولكنها تبدو في بعض الأحيان سوقية إلى حد
بعيد . إذ ذاك أجدنى ضائع النفس ، ولا
أفهم لماذا أحبها كل هذا الحب ، أو على أقل
تقدير لماذا أحببتها يوماً ما .

تشيبوتيكين : (ينهض) إني راحل غداً أيها العزيز ، وربما
لا يقدر لنا أن نلتقى ثانية ، فأليك إذن نصيحتي
ضع قبعتك على رأسك وامسك في يدك عصاك
وارحل ... امض في طريقك ، امض دون أن
تنظر ورائك ، وكلما بعدت بك الشقة كان
ذلك أفضل .

(يعبر سولنى خلفية المسرح ومعه ضابطان :
يرى تشيبوتيكين ، ويلتفت إليه ، بينما يواصل
الضابطان المسير)

سولنى : حان الوقت ، يا دكتور . الساعة الآن في
منتصف الواحدة . (يصافح أندريه) .

تشيبيوتيكيين : انتظر لحظة . فقد برمت بكم جميعاً . (لأندرية)
لو سأل عني أحد قل إنني سأعود عما قليل
(يزفر) أوه . أوه . أوه .

سوليني : « وحتى الزفرات ما ملك أن يطلقها ، فقد برك
عليه الدب بكل ثقله » (يتجه إليه) لماذا تنوح
هكذا ، أيها العجوز ؟

تشيبيوتيكيين : اسكت !

سوليني : كيف صحتك ؟

تشيبيوتيكيين : (غاضباً) ليس هذا من شأنك .

سوليني : العجوز مغضب بلا سبب . لن أستغرق طويلاً .
سأصطاده كما تصاد القطا . (يخرج زجاجة
العطر ويضمخ يديه) لقد أفرغت على يدي
زجاجة كاملة اليوم وما تزال لها رائحة . رائحة
جثة هامدة (صمت) أجل . أتذكر هذين
البيتين :

« وذلك العاصي يطلب العاصفة

كأن في العاصفة راحة لفؤاده ! »^(١)

تشيبيوتيكيين : أجل . « وحتى الزفرات ما ملك أن يطلقها
فقد برك عليه الدب بكل ثقله » .

(يخرج مع سوليني . تسمع صيحات . يدخل
أندرية ومعه فيرابونت)

(١) من قصيدة للشاعر ليرمونتوف .

فيرابونت : وقع هذه الأوراق .
 أندريه : (مهتاجاً) ابعد ! اذهب ! من فضلك !
 (يخرج ومعه عربة الأطفال)
 فيرابونت : ما خلقت الأوراق إلا لتوقع .
 (يتراجع إلى خلف المسرح . تدخل إيرينا
 ومعها تيوزينباخ مرتدياً قبعة من الخوص .
 يعبر كولييجين المسرح صائحاً) كوى كوى ، ماشا
 كوى كوى .
 تيوزينباخ : يبدو أنه الوحيد الذى سره أن يرحل الجنود .
 إيرينا : هذا أمر طبيعى . (صمت) ستخلو علينا
 البلدة .
 تيوزينباخ : يا عزيزتى ، عما قريب أعود .
 إيرينا : وأين تذهب ؟
 تيوزينباخ : يجب أن أنزل البلد ، ثم أودع المسافرين .
 إيرينا : هذه ليست الحقيقة يا نيكولاى ، لماذا أنت
 شارد الذهن اليوم ؟ (صمت) ماذا حدث
 قريب المسرح ليلة الأمس ؟
 تيوزينباخ : (يتحرك فى نقاد صبر) سأعود إليك بعد
 ساعة ، وأحظى بقربك مرة أخرى . (يقبل
 يدها) يا حبيبتي .. (يتفحص وجهها)
 مضت خمس سنوات الآن منذ وقعت فى

غرامك ، وحتى الآن لا أستطيع أن أعتاد

هذا الحب . إنك تزادين في عيني جمالا

كل يوم . يا لشعرك الحبيب ، العجيب !

يا لعينيك ! غداً سأخذك وأرحل . وسنعمل

معاً ، ونصبح أثرياء . وستحقق كل

أحلامي . وستصبحين سعيدة . شيء واحد ،

شيء واحد فقط ينغصني : فأنت لا تحبينني !

إيرينا : ليس هذا في مقدوري . سأكون زوجتك ،

وسأخلص لك . وأطيعك ، ولكنني لا أستطيع

أن أحمل نفسي على حبك . فماذا أفعل !

(تبكى) لم أجرب الحب مرة واحدة في حياتي .

طالما فكرت فيه ، وشغلت به ليل نهار ،

ولكن روحى ظلت كيانو كبير أغلق مرة

وفقد مفتاحه . (صمت) أنت تبدو تعساً .

تيوزينباخ : لم أنم الليلة الماضية . ليس في حياتي من الفظائع

ما يخيفني . هذا المفتاح المفقود وحده هو الذى

يعذب روحى ، ويحرمنى النوم . قولى لى

شيئاً (صمت) قولى لى شيئاً ...

إيرينا : ماذا أقول ، ماذا ؟

تيوزينباخ : أى شيء

إيرينا : كفى ! كفى ! (صمت) .

تيوزينباخ : من الغريب أن الأشياء التافهة تبدو لنا
أحياناً ، بلا سبب واضح مهمة ، وذات معنى .
وفي أول الأمر نضحك من هذه الأشياء ونظنها
بلا أهمية . ولكننا نظل نهتم بها مع هذا ،
ولا نجد في أنفسنا القدرة على أن نوليها ظهورنا .
أوه .. دعينا من كل هذا . إني سعيد . أحس
كما لو كنت أرى هذه الأشجار من الشربين
والاسفندان والزان لأول مرة في حياتي ،
وهي بدورها تنظر إلى في فضول وتوقع .
يا لجمال الأشجار ، ويا لجمال الحياة قربها ،
لو أننا فقط تأملناها ! (تسمع صبيحة كو -
ى عن بعد) آن أن أنصرف بين
الأشجار واحدة جفت فيها الحياة ، ولكنها
ما تزال تتمايل مع الأخريات إذا ما داعها
النسيم . هكذا أكون إذا ما مت . سأظل أحيا
على نحو ما . طاب وقتك ، يا عزيزتى ...
(يقبل يديها) الأوراق التي أعطيتها موجودة
على مكتبي تحت النتيجة .

إيرينا : سأذهب معك .

تيوزينباخ : (فى عصبية) لا . لا . (يذهب مسرعاً ثم
يتوقف عند الممشى فى الحديقة) إيرينا .

لايرينا : نعم .

تيوزينباخ : (لايدري ماذا يقول) . لم أشرب قهوتي اليوم
قولي لهم أن يُعِدُّوا لي قدحاً . (يذهب مسرعاً ..
تقف وقد غابت في تفكير عميق . ثم تذهب
إلى خلفية المسرح وتجلس على أرجوحة .
يأتي أندريه ومعه عربة الأطفال ويظهر أيضاً
فيرا بونت)

فيرا بونت : أندريه سيرجيفيتش : هذه ليست أوراقى أنا ،
إنها أوراق الحكومة . أنا لم أصنعها .

أندريه : ماذا حدث لماضى ، وأين ذهب ؟ قد كنت
ذات يوم شاباً ، وسعيداً وماهراً . كانت
أحسن الأفكار تأتيني ، أو أصنعها أنا . وكان
الحاضر والمستقبل يبدوان لي مليئين بالأمل .
لماذا ، ونحن لم نكد نبدأ حياتنا ، نحبو فينا
النور ونشيب ولا نعود نبعث على الاهتمام ؟
لماذا نصبح كسالى ، لانبالي بالأشياء ، لاجدوى
منا ولا سعادة لنا ... هذه البلدة ظلت تعيش
مائتى عام وفيها مائة ألف نسمة ليس بينهم
من يختلف عن أخيه . ليس بينهم الآن ، ولم
يكن فيهم قط ، رائد يقود الناس ، أو عالم
واحد ، أو فنان ، أو رجل له أقل امتياز ،

يحمل غيره على أن يحسدوه أو يشتر فيهم رغبة
متقدمة لمحاكاته . إنهم لا يفعلون شيئاً سوى أن
يأكلوا ويشربوا ويناموا ... وبعد هذا يموتون .
ثم يولد خلق جدد ، يأكلون هم أيضاً ، ويشربون
وينامون ، وحتى لا يصيبهم العته من فرط
الفراغ ، يحاولون ملء حياتهم باغتيال الناس
وشرب الخودكا ولعب الورق ورفع القضايا
في المحاكم . والزوجات منهم يخدعن أزواجهن .
والأزواج يكذبون ، ويتظاهرون بأنهم لا يرون
شيئاً ولا يسمعون شيئاً ، فيمتد الشر إلى
الأولاد ، يحقق بهم فلا يجدون منه مفراً ،
فتخبو الشرارة المقدسة في أرواحهم ، ويصبحون
جشاً تشتر الرثاء ، وتتشابه أحوالها وصفاتها ،
مثلهم في هذا مثل آبائهم وأمهاتهم . (لفيرابونت
في غضب) ماذا تريد ؟

فيرابونت : إيه ؟ أوراق أريد أن توقعها .

أندريه : لقد ضقت بك .

فيرابونت : (يعطيه الأوراق) فراش قاعة المحكمة قال لي :

الآن ، إن الشتاء الماضي سجل مائتي درجة من

من الصقيع في بطرسبورج .

أندريه : الحاضر كثيب ، ولكن المستقبل أمامي يبدو لي

طيباً ! كلما فكرت فيه أحسست بالانطلاق .
ألمح النور على مبعدة وأرى بشير الحرية . أرى
نفسى وأولادى وقد تحررنا من العجب والبيرة
وأكل الإوز المطبوخ بالكرنب ، ومن النوم
عقب الغداء ، ومن البطالة المهينة .

فيرابونت : وقال أيضاً : إن ألفى رجل تجمدوا حتى الموت .
قال إن الناس ذعروا فى بطرسبورج أو موسكو .
لا أدري أيهما .

أندريه : (تغلبه عواطفه) يا شقيقائى العزيزات ،
يا شقيقائى الجميلات ! (يبكى) ماشا ،
أختى ...

ناتاشا : (عند النافذة) من يتكلم بصوت عال هكذا ؟
أهو أنت يا أندريه ؟ أنت ستوقظ صوفى
الصغيرة ^(١) Il ne faut pas faire du
bruit, là, Sophie est dormie déjà. Vous
êtes un ours. (بغضب) إذا أردت أن
تتحدث فاعط العربى والطفل لشخص آخر .
فيرابونت خذ العربى .

فيرابونت : حاضري يا ست (يأخذ العربى)
أندريه : (مرتبكاً) أنا أتحدث بهدوء .

(١) لا تتحدث ضجة ، إن صوفى نائمة الآن . ما أنت إلا دبة .

ناتاشا : (عند المائدة . تداعب طفلها) بوبيك !

بوبيك يا شقى ! بوبيك يا عفريت يا صغير !

أندريه : (ينظر فى الأوراق) طيب . سأنظر فى هذه

الأوراق وأوقعها إذا لزم الأمر ، وتستطيع
بعد هذا أن تعود بها إلى المكتب ...

(يدخل البيت وهو يقرأ الأوراق . يأخذ

(فيرابونت العربة إلى أقصى الحديقة)

ناتاشا : (عند النافذة) بوبيك . ما اسم ماما ؟ ياه ،

ياه ! ومن هذه ؟ هذه عممتك أولجا . قل

لعمتك « كيف حالك يا أولجا » !

(اثنان من الموسيقيين الجواله . رجل وامرأة

يعزفان الكمان والهارب ، يخرج من البيت فيرشينين

وأولجا وأنفيسا ، يستمعون لحظات فى صمت .

تلحق بهم إيرينا) .

أولجا : لقد أصبحت حديقتنا طريقاً عاماً يعبره الناس

راجلين وراكبين .. دادة : أعطى الموسيقيين شيئاً

أنفيسا : (تعطيهما نقوداً) اذهبا على بركة الله .

(ينحنى الموسيقيان تحية ويذهبان) مسكينان .

أنما تعزفان بمعدة خالية . (لإيرينا) كيف

حالك يا إيرينا ! (تقبلها) هأنذا ، يا صغيرتى ،

لازلت حية ! أعمل فى المدرسة الثانوية ، مع

صغيرتى أولجا ، وفى شقتها الحكومية . لقد
أعانى الله فى شيخوختى . رغم ذنوبى الكثيرة ،
أحسن الله إلىّ ، فأصبحت أعيش كما لم أعش
من قبل .. شقة واسعة ملك للحكومة ولى غرفة
بأكملها ، بها سرير ، كلها ملك للحكومة .
إننى أصبحو فى الليل ، وأشعر ، شكراً لله
وللعذراء ، بأننى أسعد من فى الوجود !

فيرشينين : (ينظر إلى ساعته) إننا موشكون على الرحيل .
أولجا سيرجيفنا ، آن أن أنصرف . (صمت)
أتمنى لك كل .. كل .. أين ماريا سيرجيفينا ؟
إيرينا : إنها فى مكان ما فى الحديقة . سأذهب لأبحث عنها .
فيرشينين : لو تكلمت . لا وقت لدى .

أنفيسا : سأذهب أنا أيضاً لأبحث عنها (تصيح) ماشا
كو-ى (تخرج مع إيرينا إلى الحديقة)
كو-ى ، كو-ى

فيرشينين : كل شيء إلى نهاية . ونحن أيضاً لا مفر من أن
نرحل . (ينظر إلى ساعته) أقامت لنا البلدة
حفلة إفطار للوداع ، وقدمت لنا الشمبانيا ، وألقى
العمدة خطاباً . أكلت واستمعت ، ولكن
روحي كانت هنا طول الوقت .. (ينظر حواليه
فى الحديقة) لقد اعتدت الآن صحبتكم .

أولجا : ألن نتقابل مطلقاً ؟

فيرشينين : الأرجح أننا لن نلتقى (صمت) زوجتى

وابنتائى سيمكثن هنا شهرين بعد رحيلى .

لو حدث شيء ، ولو احتاج الأمر إلى شيء .

أولجا : طبعاً طبعاً سيكون فى أمان ، فلا تقلق (صمت)

غداً لن نجد فى البلدة جندياً واحداً . ستصبح

الفرقة كلها مجرد ذكرى . وستبدأ حياة جديدة

بالنسبة لنا ... (صمت) ولا واحدة من

خططنا تحققت . لم أرد أن أصبح ناظرة .

ولكنهم عينونى فى المنصب رغم هذا .. والنتيجة

أنه لا فرصة أمامنا للذهاب إلى موسكو ...

فيرشينين : هيه .. أشكركم على كل ما قدمتموه لى . سامحني

إذا كنت ... إذا كنت قد أكرت من الكلام .

سامحني على هذا أيضاً ، ولا يسوء رأيك فى .

أولجا : (تمسح عينيها) لماذا لم تأت ماشا حتى الآن ؟

فيرشينين : ماذا كنت أقول غير هذا فى لحظة الوداع ؟ هل

كنت أفلسف الأشياء جميعاً ؟ « يضحك »

الحياة ثقيلة الوقع . إنها تبدو لكثيرين منا

جامدة ، لا أمل فيها . ومع هذا ، فهى بلامراء

أخذت تخف وطأتها ، ويزداد فيها الوضوح .

ويبدو أنه لن يمضى وقت طويل حتى تنجلي

أمامنا نماماً . (ينظر إلى ساعته) آن آن
أنصرف ! طالما استنفدت الحروب طاقات
البشر ، وملأت حياتهم الغزوات والعدوان
والهزيمة . الآن أفلتنا من هذا كله ، تاركين
وراءنا رقعة عريضة من الأرض الحراب ،
لا نستطيع أن نعمارها حالا . ولكن الإنسانية
تبحث عن شيء ما وهي لا بد واجدته . آه
لو وجدته بأسرع مما تفعل الآن . (صمت)
لو أننا أضفنا التعليم إلى الصناعة ، وضممنا
الصناعة إلى التعليم . (ينظر إلى ساعته) آن
أن أنصرف .

أولجا : ها هي ذي قد أتت .

(تدخل ماشا)

فيرشينين : جئت أقول الوداع .

(تتجه أولجا خطوات إلى الوراء حتى تخلى

لها المكان)

ماشا : (تنظر في وجهه) الوداع (قبلة طويلة)

أولجا : لا تفعل . لا تفعل (ماشا تبكي في مرارة)

فيرشينين : اكتب لي .. لا تنسى ! دعيني أذهب . أوف

الوقت . خذها يا أولجا سيرجيفينا ... أوف

الوقت وتأخرت . (يقبل يد أولجا في انفعال

واضح ، ثم يعانق ماشامة أخرى ، وينصرف عنها)
أولجا : كفى يا ماشا . كفى يا عزيزتى (يدخل
كوليجين)

كوليجين : (مرتبكا) لا بأس ، دعها تبكى ، دعها
يا عزيزتى ماشا ، يا ماشا الكريمة .. أنت
زوجتى ، وأنا سعيد معها حدث ؛ أنا لا أشكوك
ولا ألوم . وأولجا على هذا شهيدة ... دعينا
نحيا مرة أخرى كما حيننا من قبل ، ولن تصدر
منى كلمة واحدة أو إشارة ...

ماشا : (تتحكم فى غصص البكاء)
« قرب البحر شجرة بلوط خضراء
وعليها حلقة من الذهب الوهاج
حلقة من الذهب الوهاج .
لقد فقدت عقلى ..

« قرب البحر . شجرة بلوط خضراء »

أولجا : كفى يا ماشا . كفى اعطها شيئاً من الماء .

ماشا : لم أعد أبكى .

كوليجين : إنها لم تعد تبكى . إنها طيبة . (تسمع طلقة
على مبعدة)

ماشا : « قرب البحر شجرة بلوط خضراء

وحوالها حلقة من الذهب الوهاج .

شجرة بلوط من الذهب الأخضر »

لقد اختلطت على الألفاظ (تشرب بعض
الماء) الحياة مملة . لم أعد أريد شيئاً الآن .
سأكون على أحسن حال بعد لحظات ...
لانيهم ... ماذا تعني هذه الآيات ؟ لماذا تدور
في رأسي هكذا ؟ . لقد اختلطت أفكاري
جميعاً . (تدخل إيرينا)

أولجا : اهدئي يا ماشا . أرجوك . هيتاً بنا ندخل .

ماشا : (في غضب) لن أدخل (تغص بالبكاء ، ولكنها
تسيطر على عواطفها فوراً) .. لن أدخل
المنزل . لن أدخل .

إيرينا : لنجلس هنا إذن . ولا نقول شيئاً . إني راحلة
غداً (صمت) .

كولييجين : أمس أخذت هذه السوالف واللحية من تلميذ
في السنة الثالثة (يلبس السوالف واللحية)
ألا أشبه المدرس الألماني؟ (يضحك) أليس
كذلك ؟ التلاميذ قوم مسلون .

ماشا : أنت في الواقع تشبه هذا الألماني .

أولجا : (تضحك) أجل (تبكي ماشا) .

إيرينا : كفى ياما شا .

كولييجين : أشبه تماماً . (تدخل ناتاشا)

ناتاشا : (للخادم) ماذا ؟ سيجلس ميهائيل إيفانيتش
بروتوبوبوف مع الصغيرة صوفى ، ويتكفل
أندريه سيرجيفيتش بالصغير بويك ... الأولاد
متعبون ... (لإيرينا) إيرينا ، خسارة كبيرة
أن ترحلى غداً . امكثى أسبوعاً آخر ، أرجوك .
(ترى كوليجين وتصرخ . يضحك هذا ويخلع
سوالفه ولحيته) كم أفزعتنى ! (لإيرينا) لقد
اعتدت صحبتك . فهل تظنين أنه من السهل
على أن أفارقك ؟ سأضع أندريه وكماله فى
غرفتك ، ليعزف ما حلاله ! وسأضع صوفى
الصغيرة فى غرفته . يا لها من طفلة جميلة رائعة !
يا لها من بنية ! اليوم نظرت إلى بعينها الجميلتين
وقالت : « ماما »

كوليجين : إنها طفلة جميلة ، ولا ريب .
ناتاشا : هذا معناه أن المكان سيخلو لى غداً . (تنفر)
أولا سأقطع هذا الصف من أشجار الشربين
ثم هذه الاسفندانة . إنها قبيحة المنظر بالليل .
(لإيرينا) هذا الحزام لا يلائمك على الإطلاق
يا عزيزتى ... لا ذوق فيه ، وسأمر بزرع حشود
بعد حشود من الزهور ، وسيضوع عبرها ..
(بقسوة) لماذا توجد هذه الشوكة على المقعد ؟

(تقترب من المنزل فى اتجاه الخادم) لماذا توجد
هذه الشوكة على المقعد أقول لك (تصيح) إياك
أن تتجاسرى على الرد .

كولييجين : حلمك ! حلمك !

(يسمع عزف مارش عسكرى . ينصت الجميع)

أولجا : إنهم يرحلون .

(يدخل تشيبيوتيكين)

ماشيا : إنهم راحلون . طيب طيب .

رحلة سعيدة (لزوجها) لنعد إلى المنزل الآن .

أين معطفى وقبعتى ؟

كولييجين : أدخلتهما . سأحضرهما فى لحظة .

أولجا : أجل .. الآن نستطيع جميعاً أن نعود إلى

البيت .. آن الوقت .

تشيبيوتيكين : أولجا سرجيفينا !

أولجا : ماذا ؟ (صمت) ماذا ؟

تشيبيوتيكين : لا شيء .. لا أدري كيف أخبرك (يهمس لها) .

أولجا : (فزعة) غير صحيح .. !

تشيبيوتيكين : بل صحيح .. يا لها من ورطة . أنا متعب تماماً

بل مستهلك . ولن أقول المزيد (يحزن) ومع

ذلك فالأمر سواء !

ماذا حدث ؟

ماشيا

أولجا : (تعانق إيرينا) هذا يوم فظيع .. لا أدري
كيف أقول لك يا عزيزتي ...

إيرينا : ماذا ، قولي لي بسرعة ، ماذا حدث بحق السماء ؟
(تبكى)

تشيبوتيكين : قتل البارون في المباراة منذ لحظات .

إيرينا : (تبكى في خفوت) كنت أعلم . كنت أعلم ...

تشيبوتيكين : (يجلس على مقعد في خلفية المسرح) أنا متعب
(يخرج أوراقاً من جيبه) .. لتبك النساء (يغنى
في رقة) تارارا . بوم — داي « هذا يوم الغسيل »
الأمر كله سواء !

ماشيا : (تقف الشقيقات الثلاث مستندات ، الواحدة
منهن إلى الأخرى) .

ماشيا : شدّ ما تعزف الموسيقى ! إنهم يرحلون عنا .
و ثم واحد قد تركنا ، تركنا تماماً وإلى الأبد
سنظل وحيدات وعلينا أن نبدأ من جديد ..
علينا أن نعيش .. نعيش .

إيرينا : (تضع رأسها على صدر أولجا) سيأتي يوم يعرف
فيه الكل لماذا ولأى غرض نتعرض فيه لكل
هذا العذاب .. إذ ذاك لن تكون هناك أسرار
محمّية . أما الآن فعلينا أن نعيش . علينا أن

نعمل ، نعمل فقط . غداً سأرحل بمفردي
وسأعلم الناس ، وأبذل حياتي كلها لمن يحتاجها .
نحن الآن في الحريف وسرعان ما يأتي الشتاء .
وسيغطي الثلج كل شيء وسأعمل ، أعمل ...
أولجا : (تعانق أختها) الفرق الموسيقية تعزف بكل
مرح ، بكل قوة ، وكل منا شديدة الرغبة
في أن تعيش ! يا إلهي ! سيمضي الزمن ونرحل
إلى الأبد ، وينساها الناس . سينسون وجوهنا ،
وأصواتنا ، بل حتى عددنا . ولكن عذابنا
هذا سينقلب سعادة لمن يأتون بعدنا . ستسود
السعادة والسلام الأرض ، وستذكر الأجيال في
حب وعطف أولئك الذي يحيون الآن ،
ويعطرون ذكراهم . يا شقيقتي العزيزتين ، إن
حياتنا لم تنته بعد ، فلنعش .. الموسيقى كثيرة
المرح ملآنة بالجلد . يبدو لي أننا سرعان
ما نعرف لماذا نعيش ، ولماذا نتعذب ... لو
أننا فقط استطعنا أن نعرف لو كنا نستطيع أن
نعرف !

(تبعد الموسيقى شيئاً فشيئاً . يدخل كوليجين
وهو يبتسم في سعادة . ومعه المعطف والقبعة .
أندريه يدفع أمامه عربة الأطفال وفيها بوبيك)

تشیبوتیکین : (یغنی فی رقة) تارا ... را بوم دای . هذا يوم
الغسيل . « (یقرأ فی صحيفة) الأمر كله
سواء ! الأمر كله سواء !
أولجا : لو أننا عرفنا .. لو أننا فقط استطعنا أن نعرف !

(ختام)

مطبعة كوستانتينوس وشرکاه
٥ شارع دقف المزبعل - الطاهر تيملا ٤٤١١٨



انطون تشيكوف

روائع
المسرح العالمي
سلسلة مسرحيات
عالمية
بأقلام الصنف الممتازة
من المترجمين والمراجعين
مع دراسة عميقة
للاستاد كاتس

تحت الطبع:

"٢" سيرانو دي برجرال

تأليف
ادمون رومان
ترجمة
عباس حافظ

"٣" أعمدة المجتمع

تأليف
هنريك إبسن
ترجمة
الأستاذ عزيز

723
58sh



0656217

ملتزم النشر والتوزيع: الشركة التعاونية للطباعة والنشر

١٠